خط الموت

* الكتاب: خط الموت (رواية)
* الكاتب: حسن عصام الدليمي
* تصميم الغلاف: شيماء أبو طالب
*مراجعة لغوية: عزيز عثمان
* إخراج داخلي: سليل الفراعنــة
* رقم الإيداع: 11121/ 2022
* الترقيم الدولي: 978-977-6914-83-4

المدير العام: عزيز عثمان
لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com
واتس آب: 01005186476
صفحة الدار على موقع فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع

صدر عن دار العنقاء للنشر والتوزيع
بالتعاون مع دار المنتدى للنشر والتوزيع

(روايـــــــة)

خط الموت

حسن عصام الدليمي

صدر عن دار العنقاء للنشر والتوزيع
بالتعاون مع دار المنتدى للنشر والتوزيع

دار المنتدى للنشر و التوزيع

العنقاء دار العنقاء للنشر والتوزيع

إهداء

إلـــــــــىٰ

كُل من مات طموحه...

كُل من يسعىٰ لتحقيق أحلامه...

كُل من يفكر بالتخلص من الظلم...

❋❋❋❋

الفصل الأول

في الصباح الباكر وفي يوم مُشرق بالشمس وبالهواء العليل وزقزقة العصافير جلس «جوانغ هوانغ» مع عائلته المكونة من زوجتهِ وابنه «كيم» علىٰ مائدة الفطور، نزل كيم من غرفتِه وغسل وجهه بالماء والصابون وصحىٰ من غفوته؛ فهذا أول يوم يذهب فيه إلىٰ الجامعة بعد قبوله في كلية الهندسة في جامعة بيونغ يانغ.

جلس علىٰ المائدة بعد أن ألقىٰ التحية علىٰ والديه، نظر والده في عينيه وقال:

- كيف هي معنوياتك اليوم يا ولدي؟

ابتسم وأمسك يده وقال:

- بأفضل حال يا والدي العزيز! لن أنسىٰ فضلك وتعبك عليَّ لكي توفر لنا معيشةً كريمة تُبعدنا عن أي احتياج... أعدُك يا أبي بأني بعد أن أتخرج من الجامعة سأصبح أفضل مُهندس في كوريا ولن أدعك تعمل ثانيةً... يجب أن تقضي بقية حياتك في البيت وتأخُذ قسطًا من الراحة!

توسعت عينيه من الدهشة وابتسم وربت علىٰ كتفهِ وقال:

- حياتي هي أن أراك أنت ووالدتك سعيدان... أنت لا تعلم كم تعبنا وعانينا أنا ووالدتك في سبيل الحصول علىٰ طفل... عانينا لسنوات ولم نحصل علىٰ نتيجة... وعدت نفسي بأني بمُجرد أن أُرزق بطفل سأمنحه كل حياتي وسأبذل قُصارىٰ

جهدي في سبيل إسعاده... وسأوفر له المال لكي يُنهي دراسته ولا يُعاني من أي صعوبات كما عانيت أنا في السابق... كان حُلمي أن أُدرس في الجامعة... لكن والدي كان فقيراً جداً وعدد أفراد عائلتنا كبير ولا يكفي معاش والدي لنهاية الشهر لسد رمقنا مما اضطرنا أنا وأخوتي أن نعمل في الحقول والمزارع لكي نوفر لقمة العيش وسط هذه القوانين والأنظمة الجائرة!

نزلت دمعتان من عينيه مسحهما بيديه وتنهد وأردف قائلاً بأسىٰ:

- كان والدي يُحب عائلته بشكل لا يوصف.... وبذل قُصارىٰ جهده في سبيل إسعادنا... لكن الحياة كانت قاسية معه ولم تُعطيه الفُرصة لكي يعيش براحة بال... كان أباً رائعاً ومُضحياً للغاية... كان حنوناً وعطوفاً ويتألم ويبكي عندما تركنا جامعاتنا ولجأنا للعمل... كان يشعُر بأنه السبب فيما حصل... أحياناً لا تُعطيك الحياة الفُرصة لكي تعيش كما تحلم... ليست جميع الأحلام قابلة للتحقيق فبعضها يتدمر والأخر يتلاشىٰ مع صعوبات الحياة!

اقترب كيم من والدهِ وأحتضنه وقبله من جبينه وقال:

- لا داعي للبُكاء يا والدي العزيز... ما حصل قد حصل ولا طاقة لنا بتغيره... ليس بإمكاننا تغير الماضي... لكننا نستطيع تغير المستقبل! لا تهتم لقسوة الحياة فهي عبارة عن درس

نتعلم منه مالم تستطع المدارس تعليمه لنا... في حال وجدت نفسك غير قادر علىٰ العمل فأنا مُستعد أن أعمل وأدرس في الوقتِ نفسهِ... كُل ما يُهمني أن نكون سُعداء مع بعض... سعادتنا وقوتنا بوجودنا وتكاتفنا مع بعض!

قاطعتهم الزوجة «لي زهانغ هوان» قائلةً:

- ما الذي حصل لكم يا شباب! لِم تفتحون الدفاتر القديمة؟ دعونا نعيش الحاضر ونُخطط للمستقبل!

رمقها جوانغ هوانغ بنظرات استغراب وتعجُب وأبتلع ريقه وقال:

- الماضي هو الذي يُعلمنا ما الذي يجب فعله في المستقبل! الماضي عبارة عن دروس قاسية تجعلنا أما فوق الغيم أو في الحضيض! من لم يتعلم من الماضي لا يستطيع أن يعيش الحاضر ولا المستقبل! بإمكاننا التخطيط للحاضر والمستقبل لكننا لا نستطيع العودة إلىٰ الماضي! المُستقبل يُصبح حاضراً والحاضر يُصبح ماضيـًا!

رفعت حاجبيها مُتعجبةً وقالت:

- وكيف ذلك؟ لم أفهم هذه المعادلة الأخيرة!

بلع ريقه ونظر في عينيها وبدأ بالشرح:

- اليوم هو الأثنين والمستقبل هو الخميس... عندما يحين الخميس يُصبحُ حاضراً... وفي يوم الجُمعة يُصبح ماضيـًا...

بإمكاننـا التخطـيط للخمـيس... لكـن بحلـول الجُمعـة لا نستطيع تغير الخميس! هل هذا واضح؟

ابتسمت الزوجة وقالت:

- مـن أيـن تعلمـت هـذه الأمـور رغـم إنـك لـم تُنهـي دراسـتك الجامعية؟

قضم شفتيه وقال:

- مـن لـم يـدرس في الجامعـة لا يعنـي بأنـه لا يسـتطيع أن يـتعلم خارجها!

اتسعت عينيها وقالت:

- وكيف ذلك؟

تنهد بحرارة وأمسك رغيف الخبز ليبدأ بالأكل وقال:

- بعـد أن انتهـي مـن العمـل سأحضـر بعـض الكُتـب وأبـدأ بالقراءة... وبهذه الحالة أتعلم كُل يوم أشياء جديدة... إضافة إلىٰ ذلك إن الحياة هي أكبر مدرسة!

****

أنهوا إفطارهم ودلـف كـيم إلـىٰ غرفتـهِ وارتـدىٰ بدلـة سـوداء وقمـيص أبيض وجهز نفسه للذهاب إلىٰ الجامعة. في حين ارتدىٰ والده ملابسه وذهب إلىٰ عمله، فهو يعمل مُحاسباً في أحد المصانع.

كان كيم مُتحمسـاً للذهاب إلىٰ الجامعة كما يتحمس الجُندي للذهاب إلىٰ المعركة لأنه يعدها مكانـاً عريقـاً وسيتعلم منها الكثير مـن الأمـور الجديـدة التـي ستسـاعده في فهـم الحيـاة أكثـر وأكثـر. اسـتقل البـاص الذاهـب إلىٰ الجامعة وبـدأ يشعُـر بـأن الطريـق أصبـح طـويلاً ولـم يعُـد قادراً علىٰ مقاومة حماسه المُشتعل كالبركان في صدرهِ.

وصل إلىٰ الجامعـة ونـزل مـن البـاص ودلـف إلـىٰ الـداخل. نظـر بكُـل الاتجاهات وبدأ يكتشف المكـان. توسـعت عينـاهُ مـن الدهشـة وفـرك جبينه وهو يسير بخُطىٰ ثابتة والحماس يتزايـد داخلـه كالمـاء المغلـي. كان يشعُر بأن هـذا الصـرح العريـق سيُحقق أحلامـه وسيصـبح أفضـل مُهندس في كوريا وسيكون له شأن كبير في يومٍ ما.

دخل إلىٰ القاعـة وجلـس علـىٰ أحـد المقاعـد، أخـذ يـدُق بـالقلم علـىٰ المقعد وسأم الانتظار. جلس بجانبهِ شـاب متوسـط القامـة وذو عينـين سوداوين وبشرة بيضاء كاللؤلؤ وشعره بُني كالقهوة. نظر في عيني كـيم وكان مُتحمسـاً للحديث معه وقال:

- مرحبـاً!

لـم يكُـن كـيم مُـدركـاً لمـا يحصـل بجانبـه لأن بالـه مُنشـغل في تحقيـق أحلامه وطموحه وشارد البال كصياد يتحين الفُرصة لاصطياد فريستهِ. طبطب علىٰ كتفه وتحدث من جديد:

- مرحبـاً!

استفاق كيم من شروده الذهني كمريض مُصاب بغيبوبة في العناية المُشددة ومسح جبينه وفتح وأغلق عينيه بسُرعة وقال:

- مرحبًا!

ابتسم في وجهِ كيم وقال:

- هل لنا أن نتعرف؟

هز كيم رأسه وقال والابتسامة تعتلي وجهه:

- بالطبع!

نظر في عيني كيم وقال:

- اسمي زهانغ! وأنت؟

بلع كيم ريقه وقال:

- اسمي كيم!

مد يده ليُصافح كيم وقال:

- تشرفتُ بمعرفتك!

مد كيم يده وصافحه وقال مُبتسمًا:

- وأنا أيضًا!

نهض من مكانهِ ونظر في عيني كيم وقال:

- هل لنا أن نذهب ونتمشىٰ في بهو الكلية؟

نهض كيم وتنهد وقال:

- حسنـًا دعنا نذهب!

خرجا من القاعة وذهبا يكتشفان حدائق الكُلية المليئة بالزهور وهما يرتشفان الشاي. أمسك كيم إحدىٰ الزهور البيضاء المُنمقة وراق له لونها الباهي ورائحتها الزكية كالمسك. التفت يمينا ويساراً ولم يلحظ وجود أحد؛ فقطفها وشم رائحتها وتنهد وقال: ما أجملها من رائحة!

رمقه زهانغ بنظرات تعجُب ودهشة وطبطب علىٰ يدهِ وقال:

- ما الذي فعلته؟ قد يراني أحدٌ ما ونتعرض لعقوبة!

ابتسم كيم ونظر في عيني زهانغ وقال:

- إنها مُجرد وردة صغيرة ولا تُأثر علىٰ نقاء البيئة.

رفع حاجبيه وقال ناصحـًا:

- لكنك تعلم القوانين الصارمة في بلدنا!

ابتسم كيم من طارفِ فمهِ وهز رأسه وقال مُتأسفا:

- أنا خيرُ من يعلم مدىٰ بشاعة وقسوة هذه القوانين!

وضع زهانغ يده علىٰ أنفهِ مُشيراً لكيم بالسكوت وقال:

- اصمت ولا تنبس بأي كلمة بهذا الموضوع، للجدران آذان كالجواسيس السريين!

رفع كيم حاجبيه وقال ساخراً:

- ما الذي سيحصل لو سمعني أحد؟

زفر زهانغ بحرارة وقال مُهدداً:

- سيعتقلونك وينهون أحلامك وطموحاتك كما يُنهي القاتل حياة ضحيته!

مد كيم يده مُشيراً لزهانغ بمواصلة السير وقال:

- دعنا نُكمل مسيرنا.

****

واصلا السير في أرجاء الكُلية وتعرفا علىٰ أصدقاء جُدد وأصبحوا مجموعة تتكون من ثلاثة أولاد وفتاتين. كان كيم شخصاً اجتماعيا ويُحب مخالطة الناس والقيام بالصداقات كالأمراء والملوك وتناول الطعام مع الأخرين وخوض مناقشات هادئة كالمناقشات والمناظرات التي تحصل في البرامج التلفزيونية ويستسقي معلومات جديدة منهم ويستكشف مدىٰ تقبلهم للنقد وطريقتهم في الحوار.

دخلوا في نقاش حول أهمية العولمة في العالم. كان كيم مُعارض للشيوعية والعولمة والأنظمة الطاغية جميعاً. كان كيم مُتزمتاً برأيه كقائد عسكري يُصِر علىٰ خُطة عسكرية مُعينة لتطبيقها ويرىٰ بأن العولمة ما هي إلا تجسيد للاحتلال وفرض الدول العُظمىٰ لهيمنتها وقوتها الإمبريالية علىٰ الشعوب. كما كان مُعارضاً لنظام الحُكُم في

بلده ويراه بأنه قائم علىٰ أسس دكتاتورية وقوانين قاسية وجائرة كقوانين الغابة عندما تحكمها الذئاب المُفترسة والوحوش الضارية لا تمنح المواطن حُرية الرأي في التعبير عن أرائهِ ويبقىٰ مقموعـًا وتحت الضغط كسجين في زنزانة من دون قضبان. كان يرىٰ بأن الذهاب إلىٰ كوريا الجنوبية واللجوء إليها هي أحد أهدافه المستقبلية، لكن كيف بإمكانه أن يعبُر خط الموت الذي يفصل بين الدولتين؟ وكيف يستطيع أن يترك أهله لوحدهم؟ وماذا عن طموحه بأن يُصبح مُهندسًا ذا شأن عظيم في بلده؟

هز رأسه وأغمض عينيه ورأىٰ شريط حياته يمُر أمامه كشريط فيلمٍ سينمائي وكيف سيهرُب إلىٰ كوريا الجنوبية؟ وكيف سيحصل علىٰ جنسية جديدة ويُمزق جنسيته الحالية؟ وكيف سيصبح أحد أهم المُهندسين فيها؟ كيف سيستطيع أن يرىٰ العالم من زاوية أخرىٰ فهو كالمحبوس في بلدهِ لا يستطيع أن يتصفح الأنترنت أو يُسافر إلىٰ دولة أخرىٰ، حتىٰ لا يستطيع أن يقوم بقصة شعر مُعينة، فالسلطة الحاكمة حددت قصات شعر مُحددة ولا يُمكن تغيرها ومن يقُم بذلك يُعاقب بشدة كجاني مُرتكب لجريمة كُبرىٰ؟

فتح عينيه ومسح جبينه المتصبب بالعرق كالشلال المنهمر، وبدأ يُفكر مليًا فيما رأىٰ في شريطِ أحلامِه، أخرج هاتفه وبدأ يُدون مُخططاته المستقبلية كمُدرب كرة القدم عندما يدون

الملاحظـات علـىٰ لاعبيـه وكيفيـة البـدء بوضـع خُطـة مؤجلـة للهروب إلىٰ كوريا الجنوبية؟

****

جلس في مطعم الكلية رفقة أصدقائه الجُدد بعد انتهاء المُحاضرة وتناولوا الطعام. نظرت إليه إحدىٰ الفتيات المدعوة «لونغ بون» وقالت:

- كيم! هل أنت مُرتبط؟

توسعت عيناه من الدهشة وابتسم من طرف فمه والدهشة واضحة علىٰ وجههِ وقال بتأتأة:

- أنا! لست.. لستُ مرتبطًا!

ضحكت الفتاة وضحك الجميع علىٰ ردة فعله الغريبة وقالت:

- وما بك خائف؟ إنه مُجرد سؤال بسيط لنتعارف!

رمقها بنظرات غريبة وشعر بالإهانة بعد أن ضحكوا عليه وتمالك نفسه وقرر أن يرد هذه الإهانة ويثأر لكبريائه وكرامته. نهض من مكانه وضرب علىٰ الطاولة وقال بنبرة غضب:

- لا تسألي هذه الأسئلة مرةً أخرىٰ لا دخل لكِ بحياتي الخاصة... وأنتُم لا تضحكوا! كانت ردة فعلي غريبة لأني كنتُ شارد الذهن وأفكر في أمرٍ مهم وقطعت حبل أفكاري

كما تقطع السفينة الحبل وتهرُب من الميناء بسؤالها السخيف!

أمسك زهانغ يده ونظر في عينيه وقال:

- حسنًا! حسنًا! أهدأ يا صديقي لا داعي للغضب... أعدك بأن هذا الموضوع لن يتكرر!

قاطعتهم لونغ بنبرة غاضبة:

- لا تصرُخ في وجهي وتُهينني مرةً أخرىٰ!

نهض زهانغ من مكانهِ وأشار بسبابته باتجاهها ورمقها بنظرات غضب وقال:

- ما الذي حصل لكم يا رفاق؟ إنه اليوم الأول لنا في الجامعة ولا داعي لهذه الأمور التي من شأنها أن تُعرقل صفو الجو والتناغم الجميل بيننا كالنار التي تلتهم الأشجار وتُفرق العصافير عن بعض!

غمز للونغ وهز رأسه وأردف قائلاً:

- لونغ! أنتِ مُطالبة بالاعتذار لكيم!

أصابتها الدهشة وكأن شخصًا صفعها علىٰ وجهها وتوسعت عيناها وبلعت ريقها وتنهدت وقالت:

- حسنًا! سأعتذر... لكنه يجب أن يعتذر أيضًا!

كان كيم يقرض أظافره بفمه كسجين ينتظر النُطُق بحكم الإعدام ضده والقلق والغضب واضح علىٰ وجههِ. رمقها بنظرات غضب وعقد حاجبيه، لكنه هدأ من رباطة جأشه وأبتلع ريقه وقال:

- حسناً! أنا أعتذر عن غضبي وتعكيري للجو... لكن بعض الأمور يجب أن تبقىٰ خاصة كالملفات السرية في دائرة المُخابرات ولا يحق لأحد أن يتدخل بها!

جلست لونغ علىٰ مقعدها ونظرت في عينيهِ وهزت رأسها ويديها متشابكتين ببعض وقالت:

- أنا أعتذرُ أيضاً! أعدُك بأن هذه الأسئلة لن تتكرر مرةً أخرىٰ!

تنهد زهانغ وصفق بيديه والضحكة ترتسم علىٰ وجهه وقال:

- أحسنتُم يا رفاق! ليكون هذا أول درس لنا في الجامعة... لا تتدخل في أمور الآخرين وتسأل أسئلة خاصة!

****

عاد كيم إلىٰ المنزل والتعب والإرهاق واضحان علىٰ وجهه الذابل كالوردة التي قُطِع الماء عنها. دلف إلىٰ غرفتهِ مباشرةً واستلقىٰ علىٰ السرير وأغمض عينيه ويفرُك صدغات رأسه ويُفكر في الهرب إلىٰ كوريا، أصبحت هذه الفكرة هي المُسيطرة علىٰ عقلهِ كما يُسيطر الجيش علىٰ أرض المعركة. لم يكُن منزعجاً من لونغ ولا من سؤالها، بل كان منزعجاً من التفكير في حلمٍ يصعُب التحقيق.

نادت عليه والدته ليتناول الغداء. لم يسمع نداءها في المرة الأولىٰ بسبب هيمنة دوامات التفكير علىٰ بالهِ كما تُهيمن الأمواج علىٰ السفينة وتُغرقها. صعدت والدته إلىٰ غرفتهِ وطرقت الباب، أفاق من دوامتهِ وقال: تفضل بالدخول.

فتحت والدته الباب وجلست بجانبه ووضعت يدها علىٰ وجههِ وقالت:

- مالك يا بُني؟

نهض من مكانهِ ورمقها بنظرات غريبة وابتسم من طرفِ فمهِ وعلامات الشرود واضحة علىٰ عينيهِ وقال:

- لا شيء! كنتُ أفكر في بعض الأمور!

نظرت في عينيهِ وابتسمت وقالت:

- هل ستنزل لتتناول الغداء معنا لقد عاد والدك إلىٰ المنزل!

هز رأسه بالإيجاب وقال:

- حسنًا! حسنًا! سأغسل وجهي وأبدل ثيابي وأنزل.

نهضت من مكانها واتجهت ناحية الباب وقالت:

- سنكون بانتظارك... وهمت بالمغادرة وأغلقت الباب.

خلع ثيابه وارتدىٰ ملابسه المنزلية ودخل الحمام. نظر في المرآة ومسح وجهه وعقد حاجبيه وأخذ يتأمل وجهه في المرآة ويُغمض

عينيه ويفتحها بقوة كالضوء الموشك علىٰ الاحتراق. أفاق من أفكاره وفتح صنبور الماء وغسل وجهه، وعاد يُفكر من جديد في موضوع الهروب من كوريا، لكن كيف سيترك عائلته؟ وكيف سيستطيع الهرب من خط الموت الذي لن ينجح أحداً باجتيازه من قبل؟ في حال قُتِل علىٰ الخط، كيف ستكون ردة فعل عائلتهِ؟ وما هو المصير المشؤوم الذي سينتظرهم؟ هل يُعقل أن يُجازف ويُخاطر بنفسه وعائلتهِ؟

ضرب علىٰ جبينهِ ونظر في المرآة من جديد وقال: ألهذه الدرجة أنا أناني؟ كيف أفكر بمصلحتي فقط؟ ألم يخطُر علىٰ بالك والدك وهو يشقىٰ ويتعب كالعمال في الحقول ويبذل جهوداً مُضنية في سبيل أن تُنهي تعليمك وتُصبح أفضل مُهندس في كوريا؟

جلس علىٰ الأرض وفكر ملياً ونبضات قلبهِ تتسارع وأنفاسه تتصاعد كالبركان الموشك علىٰ الانفجار. دفن وجهه بين يديهِ وأصيب بداور في رأسهِ وانخفض ضغط دمهِ وكأنه ارتكب مُصيبة أو جريمة شنيعة. كان مُجرد التفكير في هذه المسألة يُثير غضبه ويُصيبه بالدوار فكيف الحال لو طبقها علىٰ أرض الواقع.

نحن لا نهرُب من آلامنا وعذابنا، بل نهرُب من واقعنا المؤلم الذي يُضعف جهودنا ويُحطم أحلامنا، ويُصبح الحلم أقرب للسراب، والواقع عبارة عن نار مُشتعلة تأكل كُل صغيرةٍ وكبيرة.

نهض من مكانهِ من جديد ومشىٰ بخطوات مُتعرجة ومُتذبذبة كمريضٍ أفاق من البنج وغسل وجهه من جديد. كان يسمع صوت والدته

تصرخ عليه لينزل ليتناول الغداء. هز رأسه وأفاق من غيبوبته وقال: لأترك التفكير في هذا الموضوع الآن! سيأتي الوقت المناسب الذي أقوم فيه بالهروب من هذا البلد الظالم. نزل من غرفتهِ وجلس علىٰ الطاولة بجانب والدهِ. نظر والده في عينيه ووضع يده علىٰ جبينهِ ورمقه بنظرات تعجُب وقال:

- كيم! هل حرارتك مُرتفعة؟ ولماذا وجهك أصفر اللون كشجرة محروقة؟ هل أنت مريض؟

هز كيم رأسه وعينيه في الأرض وأجاب بتأتأة قائلاً:

- لا! لا! أنا بخير! تعبتُ قليلاً اليوم... كان يوماً شاقاً نوعاً ما!

قضم والده شفتيه وقال مُتسائلاً:

- هل حصلت مُشكلة معك؟ أنا أعرف ملامح وجهك عندما تقع في مُشكلة... أخبرني بما حصل؟

توسعت عيني كيم من الدهشة وعاد قلبه ينبض بقوة وأنفاسه تتصارع وتتزايد وقال:

- لقد حصلت مُشكلة صغيرة مع إحدىٰ الفتيات الذين تعرفتُ عليهن!

نظر جوانغ في عيني زوجته ونظرا باتجاه كيم وتنهد وقال:

- ما الذي حصل؟ ما هو سبب المُشكلة؟

وضع يده علىٰ فمهِ وسعل قليلاً وقال مُحاولاً تهدئة أباه:

- لا داعي للقلق يا أبي! لقد تطاولت عليَّ قليلاً وأوقفتها عند حدها!

ابتسم والده ونظر في عينيهِ وقال:

- أنا أعلم بأنك شُجاع وتستطيع أن تتدبر أمرك، لكن أخبرني بما حصل؟

أراد كيم أن يقلب الموضوع ويأخذه إلىٰ مجرىٰ أخر فنظر في عيني والده وقال:

- كيف عملك يا والدي؟ ما هي أخبار المدير السيد هونغ؟

ابتسم والده وعلِم بأن كيم لا ينوي التحدُث عما حصل، لكنه كان فضولي الطبع ويُحب أن يعرف الأخبار جميعـًا التي تحصل في منزله لكي لا تسير المياه من تحت قدميه كالسم الذي يجري في الدم وهو لا يعلم بشيء. رمق كيم بنظرات غضب وعقد حاجبيه، كان كيم يعرف هذه النظرات جيداً ويعلم بأنها تعني «لا تكذب عليَّ وأخبرني ما حصل»

طأطأ كيم رأسه وابتلع ريقه وقال:

- حسناًّ! حسنـًا! لا داعي لهذه النظرات يا أبي... سأخبرك بما حصل؟ لقد سألتني عن ماضي السابق وهذا كُل ما في الأمر.

لـم يقتنـع والـده بإجابتـه وأمسـك كـيم مـن ذقنـه ووضـع عينـه في عينيـه بنظرات غضب وهدوء والصـمت يسـود المكـان وكأنـه الهـدوء الـذي يسق العاصفة قال غاضبـاً:

- كـيم! أخـبرني مـا حصـل بالتفصـيل؟ نعـم! أنـا فضـولي شـديد بعض الشيء... أريد أن أعرف ما حصل ولا داعي للكذب أو الإنكار لأني سأكتشف ذلك بسهولة!

زفر كيم بحرارة وقال:

- حسنـاً! حسناَ! يا والدي لا داعي للغضب سـأقول كـل شـيء! لقد سألتني إذا كنتُ مُرتبطـاً بفتاة من قبل؟ وأثار هـذا السـؤال امتعاضي وغضبي لأني أكره الحديث أو أن يسـألني أحـد عـن هذا الموضوع فصرخت في وجهها بـألا تسـألني هـذا السـؤال مرةً أخرىٰ!

ابتسم والده وقال:

- لكن لا داعي للغضب من هكذا سؤال!

أخذ كيم نفسـاً عميقـاً وقال:

- أنا أعتبر هذه الأمور خاصة جـداً ولا يحـق لأحـد أن يخـوض في تفاصيلها كما يغوص الغواص في أعماقِ البحر!

ابتسم والده ورفع حاجبيه ونظر في عيني زوجته وقال:

- ما هو رأيكِ بما حصل؟

وضعت يدها علىٰ كتف كيم ونظرت في عينيهِ وابتسمت في وجههِ وقالت:

- هو حُر التصرُف، ويُمكن أن يكون هذا الموضوع خطـًا أحمراً بالنسبة إليه لا يُمكنُ تجاوزه كما يعبر السباح الخط المُخطط له للسباحة ولا يُحبذ الحديث فيه أو أن يُسأل عنه!

ابتسم كيم في وجهها وقبلها من جبينها وقال:

- أنتِ الوحيدة التي تفهميني وتعلمين الأمور التي لا أحبذ الحديث فيها!

ربتت علىٰ كتفهِ وقالت والابتسامة تعتلي وجهها:

- الأمهات يشعرن بأبنائهن دائمـًا!

****

أكملوا غدائهم وصعد كيم إلىٰ غرفته، استلقىٰ علىٰ السرير وأمسك الهاتف وبدأ يسمع الأغاني، هز رأسه وتنهد وتأفأف وقال: «لماذا نحن لسنا كباقي البلاد لا نملك أنترنت أو أي شيء يُبدد وحدتنا؟ هذا البلد غريب، يُمنع عنك أن تنتخب حتىٰ الشخص المناسب! أمامك مُرشح واحد ويجب أن تنتخبه! إلىٰ متىٰ نبقىٰ علىٰ هذا الحال؟ متىٰ نستطيع أن نتخلص من القيود المربوطة في أرجلنا ونهرب من السجن الذي نعيش فيه ونحصل علىٰ حريتنا ونُحلق في السماء كالعصافير؟! هل

سيأتي هذا اليوم ونشعُر بأننا بشر وهُنالك من يحترم آراؤنا ويهتم بمشاكلنا؟ هل كُتِب علينا أن نُحاط بالأغلال في أعناقنا كأسرىٰ الحروب ونسير خلف شخصيات وأناس يُقررون مصيرنا؟ لم يبق لهُم إلا أن يُحددوا نوع الطعام الذي نتناوله»

أطلق زفيراً، تنهد وتساءل «كيف هو شكل الناس في الخارج؟ هل يشبهوننا أم لديهم ملامح مُختلفة؟ هل يمتلكون نفس طباعنا وعاداتنا؟ كيف هي ثقافتهم وأسلوبهم في الحوار؟ نحن نسمع عن الدول فقط في التلفاز، لكننا لا نستطيع أن نجلس ونتحاور ونتبادل الآراء والأفكار معهم؟ لو نجحتُ وهربتُ إلىٰ كوريا الجنوبية وهي البلد الوحيد الذي أستطيع أن أهرب إليه، هل سيعاملونني كبشر أم سأتلقىٰ شتىٰ أنواع العذاب والألآم؟ لا! لا! بكُل تأكيد ستختلف مُعاملتي! دعهم يعاملوني كمواطن درجة ثالثة! علىٰ الأقل أفضل من السجن المفتوح الذي أعيشُ فيه!»

دخل في صراعٍ داخلي والأفكار تراوده أينما ذهب. أصبح يشُك في قواه العقلية، لكنه مُتأكد بأنه سليم ولا يوجد أي شيء خاطئ في عقلهِ، بل هي أفكار تُهيمن علىٰ عقلهِ الباطن! هل هي أفكار سلبية أم إيجابية؟ هل ستُحقق طموحه أم ستهوي به إلىٰ الحضيض؟

****

استيقظ في الصباح كعادتهِ وارتدىٰ ملابسه وسط صوت تغاريد وزقزقة العصافير ونسمات الهواء العليلة التي تُنعش القلب وصوت قطرات

المطر تتساقط علىٰ الأرض ورائحة التُراب تدخل وتُنعِش الأنفاس. نزل إلىٰ الأسفل ليتناول الفطور مع عائلتهِ. جلس بجانب والدهِ المُبتسم كالعادة. سأله والده: كيف هي معنوياتك اليوم؟ هل أنت مُتحمس للدراسة أم ستخوضُ شجاراً مع فتاة جديدة؟

ضحك كيم ورمقه بنظرات غريبة وقال:

- الشجارات مُفيدة أحياناً لأنها تُريك الوجه الحقيقي للناس وكمية الحقد الذي يحملوه بداخلهم!

هز والده رأسه وقال مُتفقاً برأيه مع كيم:

- كلامك صحيح! لكن الأفضل تجنبها قدر الإمكان... إذا أردت أن تعيش سعيداً أتبع مبدأ «لا أرىٰ... لا أسمع... لا أتكلم»... حاول أن تتجاهل الأمور ودعها تمضي علىٰ أفضل حال وكأن شيئاً لم يكُن! هل تتفق معي؟

اومأ كيم برأسِ بالإيجاب وقال:

- بكُل تأكيد! صمتك أحياناً وتجاهلك لمشكلةٍ ما لا تعني الضعف... بل تعني بأنك تُريدُ الاستمتاع في الحياة وتتجاهل المشاكل وتمضي بسلام!

أخذ والده نفساً عميقاً وقال:

- لكن ليس الناس جميعـاً يُدركون هذه المسألة... وعندما تتجاهل إساءاتهم يظنوك ضعيفاً ولين القلب كورقة شجرة أوشكت علىٰ السقوط!

نظر في عيني كيم لوهلة وأردف قائلاً:

- يجب أن ترُد في الوقت المناسب وتوقفهم عند حدهم... صبرك علىٰ غضبك أشبه بنفخ البالون لا بُد أن ينفجر في يوم ما... وعندما ينفجر سيؤذي الناس ولن تعُد قادر علىٰ السيطرة علىٰ لسانك الذي ستخرج الكلمات منه كالسكين تجرح كُل ما يقابلها!

أنهىٰ كيم فطوره وتوجه إلىٰ الجامعة. استقل الباص وجلس بجانب طالب ملامحه غريبة بعض الشيء، أحس بأنه يختلف عنهم وليس من بلدهِ. انتابه الفضول وبدأت الأفكار تتصارع في رأسه، تارةً تُريد سؤاله وتارةً أخرىٰ ترفُض ذلك. وفي نهاية المطاف استسلم لفضوله كما تستلم الفريسة لصيادها وقرر أن يسأله. نظر في وجههِ وابتلع ريقه وقال:

- مرحباً! هل من المُمكن أن أسألك سؤالاً بداعي الفضول؟

نظر الشاب في عينيهِ وعقد حاجبيه وقال:

- تفضل بإمكانك السؤال؟

قضم كيم شفتيه وقال:

- هل أنت من كوريا الشمالية؟

ابتسم الشاب وتنهد وقال:

- هل أبدو غريبـاً عن الأخرين!

هز كيم رأسه وقال:

- بصراحة! نعم فيك بعض الملامح التي تختلف عنا! قد أكونُ فضوليـاً بعض الشيء... لكن يجول في خاطري بعض الأمور التي أود معرفتها لو سمحت؟

ابتسم الشاب ورفع رأسه للأعلىٰ وتنهد وقال:

- حسنـًا! سأخبرك قصتي بالكامل عندما ننزل من الباص!

ابتسم كيم في وجههِ وقال مُثنيـاً:

- شكراً جزيلاً لك!

****

نزلا من الباص وتمشيا في الشارع والفضول والأفكار تتصارع في عقل كيم الذي أحس بأن الحماس سيأكله كما تأكل النار الحطب. نظر الشاب في عيني كيم وسأله:

- هل أنت جاهز للاستماع لقصتي الغريبة؟

أومأ كيم برأسه بالإيجاب وقال:

- بكُل تأكيد!

إسمي «ان هونغ» من مدينة (سيول) في كوريا الجنوبية. فتح كيم فمه واتسعت عيناه من الدهشة عندما سمع ذلك إنه الشاب الذي سيعرف منه كيف هرب من خط الموت ودخل إلىٰ كوريا الشمالية؟ عاد الشاب ونظر في عينيهِ وقال: قُصتي غريبة من أولها، أليس كذلك؟ حسنـًا! لأكمل حديثي... ولِدتُ في مدينة سيول لأب كوري شمالي وأم كورية جنوبية. ستسألني وكيف ذلك؟ سأجيبك! جدي كوري شمالي وعندما كانت كوريا موحدة بقي في كوريا الجنوبية بعد أن تم تقسيمها إلىٰ الكوريتين. تزوج من فتاة كورية جنوبية وأنجب والدي الذي تعرف علىٰ أمي الكورية الجنوبية ومازالا يعيشان هُناك بكُل حُرية ولا يعانون من أي مُشكلة بعد هروبي إلىٰ هُنا. ستسألني لِم فضلت الهروب من كوريا الجنوبية إلىٰ هُنا؟ دعني أخبرك! لطالما شعرتُ بأن كوريا الجنوبية ليست بلدي الأصلي وبقيتُ أحن وأحلم بالعودة إلىٰ هُنا.

فكرتُ مليـًا كيف سأخبر عائلتي؟ وكيف ستكون ردة فعلهم علىٰ هذا الأمر؟ دخلت في صراعٍ داخلي وقررت أن أهرُب إلىٰ هُنا، لكن كيف سأهرُب من خط الموت؟ هل يُعقل أن أضحي بحياتي في سبيل العودة إلىٰ هُنا؟ ما هو مصير أهلي؟ هل سيتعرضون للمضايقات من السلطات الكورية الجنوبية؟

بقيتُ أفكر لأكثر من شهر ودوامات الأفكار والهموم تُسيطر علىٰ عقلي وتشغل كُل تفكيري كما يُسيطر الجن علىٰ الإنسان. ذهبتُ

بالقرب من خط الموت وراقبت بالمنظار من بعيد وشاهدت الجنود كيف ينصبون رشاشاتهم ويوجهونها بالقرب من أي شخص يقترب من الخط. عدتُ إلىٰ المنزل وغيوم الهموم تدور حول رأسي كالعصافير والدوار يُصيب رأسي وأشعُر بأني لستُ بحالٍ جيد.

لاحظ والدي علامات الارتياب والحيرة علىٰ وجهي وسألني عن سبب ذلك فأجبته بأني أعاني من بعض المواد الدراسية. بقيتُ أفكر حتىٰ أصابتني الحُمىٰ وارتفعت حرارة جسدي وأصبحتُ أهلوس وأنبس بكلام غير مفهوم وكأني أخذ لجرعة لقاح شديد. استمرت هذه الحالة ثلاثة أيام وتغيبتُ بسببها عن الجامعة. لم أكُن أفكر بالدراسة ولا بأي شيء يخص كوريا الجنوبية. كان كُل همي وتفكيري كيف سأهرب إلىٰ هُنا؟ مؤلم أن تشعُر بأنك تعيش في مكان لا تنتمي إليه. رغم علمي وإدراكي بشكلٍ جيد بأن كوريا الجنوبية أفضل من الشمالية في موضوع الحُرياتٍ، لكن العرق دساس وأشعُر بأن هذا هو مكاني الحقيقي الذي يجب أن أبذل قُصارىٰ جهدي للذهاب والعيش فيه.

فكرتُ بعد جهود كثيفة وأراء مُتعددة مع بعض أصدقائي ذوي الأصول الكورية الشمالية في الطريقة التي يجب أن أتبعها للهرب، وتوصلنا إلىٰ حل يقضي بقيامي بصنع مولوتوف وأفجره عن بُعد لإلهاء القوات الكورية، وأركُض بسُرعة وبخط غير مستقيم لأتفادىٰ الرصاص قدر الإمكان.

حان موعد تنفيذ الخُطة، كتبتُ رسالة إلىٰ أهلي ووضعتها في غرفتي وأخبرتهم بأني ذاهب إلىٰ موطني الأصلي لأني لم أعُد قادراً علىٰ الصبر أكثر وطاقتي بدأت تنفذ كالعداء الذي تعِب من الجري في السباق، خرجتُ من المنزل والدموع تلمع من عيني كالألماس والشعور بأني قد أموت وأنا في طريقي للهرب ينتابني ويؤرقني، لكني كنتُ أفكر في اللحظات الجميلة والشعور الذي سيراودني عندما أعبر الخط. ما أجمله من شعور عندما أقفز وأعود إلىٰ موطني الأصلي كما يقفز العداء ويصل إلىٰ خط النهاية ويربح الماراثون!

وصلت بالقرب من الخط وأخرجتُ المولوتوف من حقيبتي وركضت بسُرعة كالمجنون الهارب من المستشفىٰ ورميته علىٰ أحد أبراج المراقبة. اشتعلت النيران وبدأت أركض واشعُر بأني العداء حسين بولت. كان أزيز الرصاص يمُر بجانبي كسرب النحل وأصابت إحداها قدمي، لكني استمريت بالجري لأحقق حلمي وعندما وصلت بالقرب من الخط رميت نفسي بكُل قوتي كحارس المرمىٰ عندما يقفز ليلتقط الكُرة وسقطتُ علىٰ وجهي. رفعتُ رأسي لأجد نفسي عبرتُ الخط وأصوات الرصاص توقفت وراودني شعور الحُرية والنجاح وأني حققتُ هدفي، يا له من شعور رائع! شعرتُ بأني طائر هرب من قفصهِ وحلق في السماء ونال حريته.

اقترب مني الجنود الكوريين ومدوا أيديهم لأنهض من الأرض. نهضتُ واستعدت قوتي كأسد تعب من الجري خلف غزالة وأصطادها

والتهمها وعادت طاقته وأدرتُ رأسي للخلف وألقيتُ الوداع الأخير- كحبيب يودع حبيبتهِ- علىٰ كوريا الجنوبية البلد الذي احتضنني لسنوات وأكلتُ من خيراته وشربت من مائهِ العذب. أخذني الجنود إلىٰ غرفة الضابط المسؤول وبدأ بالتحقيق معي وعن سبب هربي من كوريا الجنوبية واللجوء إلىٰ هُنا؟

كان شعور الصدمة لا يزال يُسيطر عليَّ وبدأت صورة قفزي إلىٰ الحدود الكورية الشمالية تظهر أمام عيني كشريط فيديو. جلستُ وفكرتُ في نفسي كيف استطعت القفز؟ وكيف هربتُ من وابل الرصاص الذي كان يلاحقني كسرب النحل ولم تُصبني غير رصاصة واحدة في قدمي؟

بعد مرور عدة دقائق حضر الإسعاف وأخذني إلىٰ المستشفىٰ وأجروا لي عملية وأخرجوا الرصاصة وبقيت عدة أيام هُناك. كنتُ أتلقىٰ المساعدة والعلاج كشخص كوري شمالي وليس جنوبي. شعرتُ بأن العودة إلىٰ الوطن أشبه بعودة المياه إلىٰ مجاريها. فكرتُ في أهلي وكيف سيكون شعورهم بعد أن هربت؟ لغاية الآن لا أعلم عنهم أي شيء. ضحيتُ بأهلي ومستقبلي وشبابي وجازفت وتحديت الموت ووصلت إلىٰ هُنا. كانت مجازفة محفوفة بالمخاطر كسيارة تسير علىٰ حافة طريق جبلي وعر للغاية والموت يُحيط بالمكان وينتظر أي شخص يقترب من الخط ليُمسكه ويتشبث به كما تتشبث السفينة بالحبال في الميناء.

نظر كيم في عينيهِ التي اتسعت من الدهشة وابتلع ريقه وتنهد وسأله:

- هل أنت نادم علىٰ الهروب بعد مرور السنوات؟

رفع آن رأسه وتنهد وأطلق زفيراً وقال:

- هل تريد الحقيقة؟ نعم أنا نادم علىٰ ذلك كندم اللص عندما يتوب عن سرقتهِ... كنتُ أتوقع بأني سأعيش حياة كريمة وسأحظىٰ بحُرية تامة... كنتُ أسمع في الأخبار أثناء وجودي في كوريا الجنوبية بأن كوريا الشمالية بلد ليس فيه حُريات ويقمع الناس ولا يُمكنك حتىٰ التعبير عن رأيك ولا يوجد أنترنت وهُنالك الكثير من الظُلم... لكني كنتُ أقول في نفسي بأن هذا الكلام غير صحيح ومُجرد إشاعات يتبعها النظام الكوري الجنوبي لتشويه وتسقيط سُمعة كوريا الشمالية ونظامها الحاكم... لكن بعد وصولي إلىٰ هُنا وعيشي بين الناس اكتشفت بأن هذا الكلام صحيح وليس إشاعات!

نظر كيم في عينيهِ وسأله:

- هل تتمنىٰ العودة إلىٰ كوريا الجنوبية؟

هز رأسه بالإيجاب وقال:

- نعم أتمنىٰ ذلك... لكني لا أعلم كيف ستكون ردة فعل أهلي؟ وهل ستستقبلني السلطات الكورية الجنوبية من جديد؟ من المُمكن ان يكون صدر حُكم بالإعدام ضدي لا

سيما إني رميت المولوتوف علىٰ إحدىٰ نقاط المراقبة وقد يكون بعض الجنود قد قُتِلوا نتيجة لذلك! لكني أعيش الموت الآن كل يوم... أشعُر بأني أعيش وسط سجن مفتوح، تحطمت أحلامي أمام عيني كسفينة ضربتها عاصفة في منتصف البحر!

قضم كيم شفتيه ونظر في عينيهِ وقال بصوتٍ خافت:

- هل أخبرك سراً؟

أومأ برأسه بالإيجاب وقال:

- ما هو؟

أخذ كيم نفساً عميقاً وقال:

- أنا أود الهرب من هُنا... لكني أفكر في عائلتي وكيف سأتركهُم؟ أشعُر بأني تائه وسط الصحراء ولا أعلم أين هو الطريق الصحيح!

قضم اّن أظافره وقال مُحذراً:

- في حال هربت لوحدك... سيعاني أهلك من ملاحقة السُلطات وقد يقررون إعدامهم في أي لحظة!

قضم كيم شفتيه وزفر بحرارة وقال بأسىٰ:

- كلامك صحيح وهذا ما أخشاه! لا يُمكنني أن أضحي بأهلي في سبيل حُريتي! لا بُد أن يأتي اليوم الذي أهرب فيه وأحقق حلمي!

أخذ آن نفساً عميقاً وقال:

- كيم! أعطني رقم هاتفك؟ دعنا نُصبح أصدقاء وقد نهرُب سويةً إلىٰ كوريا الجنوبية... الوطن الأصلي حيثُ تربيت وترعرعت وليس أين ولدت... صحيح إني ولدتُ في كوريا الجنوبية وتربيت فيها... لكن كما قُلتُ لك بأن الحنين إلىٰ البلد الأصلي كان يقتُلني...

تنهد وأطلق زفيراً وأستطرد قائلاً بندم:

- ليتني لم أهرُب! ليت شعور الانتماء إلىٰ كوريا الجنوبية هو ما كان ينتابني! أحياناً تُفكر بأن هروبك إلىٰ حُلمك هو الأمل... لكن بعد وصولك تكتشف بأنك هربت إلىٰ سراب ودخلت السجن بقدميك!

ابتسم كيم وقال:

- أنت دخلت إلىٰ السجن باختيارك... أما نحن فدخلناه مُجبرين!

هز آن رأسه مُتحسراً وقال:

- هل تعلم شيئـًا؟ لو ولِدتُ وترعرعت في كوريا الشمالية لكان حنيني وحُلمي هو الهرب إلىٰ كوريا الجنوبية كما تُفكر أنت الآن!

بلع كيم ريقه وقال:

- لكن الجميع يعلم بأن كوريا الجنوبية بلد حُريات ويختلف اختلافـًا تامـًا عن الشمالية... لكن أصولك شمالية لذلك تحِن إليها... لن تجد أشخاصـًا من كوريا الجنوبية هُنا إلا إذا كانوا محكومين بجناية في بلدهم وقرروا اللجوء إلىٰ هُنا!

هز رأسه بالإيجاب وقال موافقـًا:

- أتفق معك تمامـًا! كوريا الجنوبية تُمثل ملاذاً أمنـًا للكوريين الشماليين!

أنهيا حوارهما وتبادلا أرقام الهواتف وهم اَن هوانغ بالمغادرة إلىٰ جامعتهِ. أصبح اَن البطل والمثل الأعلىٰ لكيم في الهرب إلىٰ كوريا. أصبحت فكرة الهروب كظلهِ تراوده أينما ذهب، لكن مشكلة عائلته هي التي تُسيطر علىٰ باله وتمنعه من الهرب.

****

الفصل الثاني

كان والد كيم يعمل محاسباً في إحدىٰ الشركات الحكومية. كان معروفاً بنزاهته وأمانته وإدارته الجيدة والكفؤة للعمل. كان يرفض تلقي أي رشوة أو القيام بأي سرقة مهما كانت لأنهُ يعدها جريمة وإن هذا المال ليس من نصيبهِ، بل من نصيب الحكومة والشعب.

كان لديه مساعدين بغيضين «زهانغ» و «كوانغ» يدبران المكائد والدسائس لكي يوقعوا به كما تنسج العنكبوت خيوطها لتوقع بفريستها. لم يرق لهُما تفانيه وإخلاصه في عملهِ، فكان لابد لهما أن يوقعا به ويستوليا علىٰ المنصب والقيام بالسرقة علىٰ أتم وجه فعقوبة السرقة في كوريا هي السجن المؤبد.

في أحد الأيام كان جوانغ هوانغ مشغولاً ومنهمكاً بالعمل ويقوم بعد النقود. في هذه اللحظة كانا المساعدان البغيضان يحيكان مؤامرتهما ليوقعا به كما يوقع الصياد فريسته في شباكه. اتفقا أن يقوما بسرقة بعض المال وعندما يأتي دورهما ليدققا المبلغ سيعرفان بأن جزءا منه ناقص، وسيخبران المدير علىٰ الفور بأن جوانغ هوانغ سرق هذا المبلغ، وسيقوم المدير بإبلاغ الشرطة، وبهذه الحالة سيتخلصان منه ويصبح المنصب لأحدهما. كان الأمر المهم لديهما أن يتخلصا من الكابوس الذي يلاحقهما كظلهما أينما ذهبا.

اتفقا أن يطفئا التيار الكهربائي عن غرفة كيم لكي تتعطل الكاميرات، وعندما يخرج من غرفتهِ سيدخل أحدهما بينما يبقىٰ الآخر منتظراً في الخارج ليراقب الوضع لحين عودة جوانغ هوانغ. وبالفعل ذهبا خلسةً

كاللصوص وأطفئا الكهرباء. خرج جوانغ هوانغ من غرفتهِ ليتفقد الوضع، وفي هذه اللحظة استغل اللص الأول المدعو زهانغ الفرصة ودخل إلىٰ الغرفة بينما بقي اللص الثاني المدعو كوانغ خارج الغرفة ليراقب الوضع. سرق زهانغ قرابة العشرين ألف يوان من عدة رزم لكي لا يلاحظ زهانغ بأن إحدىٰ الرزم مفقودة ووضعها في كيس أسود اللون وخرج مُسرعـًا من الغرفة واتجه برفقة شريكهِ في السرقة إلىٰ غرفتهما، خبئا النقود في حقيبةٍ صغيرة تُحمل علىٰ الكتف كان زهانغ يحضرها معهُ بشكلٍ دائم.

****

عاد التيار الكهربائي إلىٰ الغرفة وهم جوانغ بالذهاب مُسرعـًا إلىٰ غرفتهِ. لاحظ بأن الرزم جميعـًا علىٰ حطتها ولم يتلاعب بها أحد وغمغم في نفسهِ: " من يستطيع أن يسرُق المال وهو يعلم بأن عقوبة السرقة هي السجن المؤبد؟" أكمل عد النقود وبعد أن انتهىٰ من العد، كتب علىٰ إحدىٰ الأوراق المبلغ الكلي البالغ مئة ألف يوان ولصقها فوق إحدىٰ الرزم.

خرج من غرفتهِ واتجه نحو غرفة اللصين زهانغ وكوانغ اللذان تظاهرا بأنهما يعملان علىٰ الحاسوب وكأن شيئـًا لم يحصل. دخل جوانغ إلىٰ غرفتهما وألقىٰ عليهما التحية وأجاباه بابتسامة شيطانية ماكرة توحي بالخُبث. أمرهما بأن يأخذا النقود ويدققان المبلغ الكلي البالغ مئة

ألف وبعد أن ينتهيا يذهبان إلىٰ غرفة المُدير ليوقع لهما علىٰ المبلغ الكلي ويعيداه إليه ليودعه في الخزنة.

بدئا بعد النقود وبعد أن انتهيا لاحظا بأن المبلغ ناقص عشرين ألف يوان وهو المبلغ الذي قاما بسرقته. تظاهرا بأنهما متفاجئان مما يحصل وكيف للسيد جوانغ أن يختلس من المال العام لا سيما أنه معروف بأمانتهِ ونزاهتهِ. انتهزا الفرصة وتوجها إلىٰ غرفة المدير وأبلغاه بأن المبلغ ناقص أو تمت سرقتهُ من قبل هذا الوقت.

استشاط المديرُ غضباً كالبركان الهائج فهو معروف بأنه شخص نزيه وحاد الطباع ولا يتهاون مع السرقات مهما كان المبلغ. أمر بإحضار السيد جوانغ فوراً وشرع بالبدء بعملية التحقيق في السرقة. كانا اللصان يشعران بأنهما بريئان وستقع التُهم جميعاً علىٰ رقبة السيد جوانغ الذي ما أن سمِع الخبر حتىٰ أحس بأن جبلاً من الهموم جثىٰ فوق ظهرِهِ وأصفر وجهه وأصبح يُتمتم في الكلام وقلبه يعتصر ألماً ونياط قلبه يتقطع وأنفاسه تتصاعد وأحس بنارِ مُشتعلة في صدرهِ ولا يعلم كيف السبيل لإطفائها؟

****

دخل السيد جوانغ إلىٰ غرفة المدير والعرق يتصبب من جبينه كالمطر المنهمر ونبضات قلبه تتسارع وأصيب بالدوار وكان يمشي بخطوات بطيئة وكأنه ذاهب إلىٰ حبل المشنقة، بل كان ذاهب إلىٰ الموت بقدميه

وكيف النجاة من هذه السرقة وهو لا يملُك دليلاً قاطعـًا علىٰ أنـه لـم يختلس هذا المال!

جلس علىٰ أحد المقاعد وبدأ يفرُك جبينه المتصبب بالعرق ويداه ترتجفان من شدة الخوف. لم يكن خائفًا من خسارة المال فقط، بل كان يشعُر بأن شرفه المهني قد ضاع وسقط من فوق رأسِهِ وبدأ الناس يدعسونه بأقدامهم. كيف سيتمكن من إعالة عائلته بعد أن يُحال إلىٰ المحكمة؟ وكيف ستتلقىٰ عائلته هذه الكارثة؟

نظر المدير في عينيه وقال له:

- سيد جوانغ! أنظر في عيني رجاءً!

لم يتمكن من رفع رأسه المطأطأ بالأرض فالخزي والعار يغمرانه كما يسبح الغريق في قاع البحر ولا يستطيع النجاة. كان يشعُر بأن كبرياءه تحطم وشرفه أُهين. تنهد وقال بصوتٍ خافت وكأن التُهمة ثبُتت عليه:

- كيف لي أن أنظُر في عيني سيادتكم بعد ضياع المال؟ أنا أشعُر بالخزي والعار!

وأخذ يضرب جبينه براحة يده والدموع تنهمر من عينيه والنار تشتعل في صدرِهِ ويداه ترتجفان من الخوف وأردف قائلاً:

- لا أعلم كيف سُرقت النقود! لقد قُمتُ بعدها جيداً ولم تكُن ناقصة! بعد أن انطفأت الكهرباء خرجتُ من الغرفة وعندما عدتُ كتبت المبلغ الكلي علىٰ إحدىٰ الأوراق ولصقتها فوق

إحدىٰ الرزم وهممت بالذهاب إلىٰ غرفة زهانغ وكوانغ وأمرتهما بأن يأخذا النقود ويدققا المبلغ الكلي وبعدها يأتون بالنقود لسيادتكم لكي توقع علىٰ المبلغ الكلي!

نهض المدير من مكانهِ وجلس أمام السيد جوانغ ونظر في عينيه بشراسة كأسد ينظُر في عيني فريسته وساد الصمت المكان لبرهة. رفع المدير رأسه وأطلق زفيراً وسأله:

- يعني ذلك أنك لم تسرُق المال! بل هُناك من سرقه أثناء خروجك من الغُرفة؟!... أليس كذلك؟

هز رأسه بالإيجاب والدموع تتساقط علىٰ خدهِ كالمطر وقال مُنتحبًا:

- نعم يا سيدي! لِم أسرُق المال وأنا أعمل مُحاسبًا هُنا منذُ ثلاثين سنة وعمِلتُ تحت أمرة الكثير من المُدراء قبلك ولم أتعرض لأي مُشكلة من قبل... هذه هي المرة الأولىٰ التي أواجه فيها مشكلةً كهذهِ... أنا معروف بنزاهتي وإخلاصي في العمل ولا يُمكن أن أسرق مهما كلف الأمر... صحيح إن مُرتبي ليس عاليًا لكنه يكفي لسد احتياجاتي ولا يجعلني بحاجة للاستدانة!

نظر في عيني المدير والدموع تُذرف من عينيه وأمسك يد المُدير متوسلاً وأستطرد قائلاً:

- أرجوك يا سيدي لا تُبلغ الشُرطة! سأموت في اللحظة الأولىٰ التي أدخُل فيها إلىٰ السجن... كما إني المعيل الوحيد لعائلتي التحق ابني بالجامعة هذه السنة... كيف ستعيش عائلتي من بعدي؟ وكيف سينظرون في عيون الناس وأبوهم متهم بالسرقة ومسجون بسبب ذلك؟ أترجاك يا سيدي ألا تُبلغ الشُرطة، أعطني فُرصة لإصلاح الأمر!

أجابه المدير بحدة:

- وكيف لنا أن نُصدق بأنك لست السارق؟ هل تمتلكُ دليلاً واحداً علىٰ الأقل يقطع هذه الشكوك التي تحوم حولك كغيمة سوداء مليئة بالمطر؟

طاطأ رأسه وبلع ريقه وقال متوسلاً:

- لا يا سيدي لا أملك سوىٰ شرفي وأمانتي المهنية وأنت حُرُ التصرُف... لكن صدقني لم أسرق هذا المال! فتشوني وابحثوا في كل مكان، وصدقوني لن تجدوا قطعة نقدية واحدة، وإن حدث ووجدتم اعتقلوني! ما رأيك يا سيدي؟

هز المدير رأسه وتنهد وقال:

- حسنـًا! سنذهب ونُفتش المكان لعلنا نعثر علىٰ دليل براءتك!

****

توجه المدير وسكرتيره الخاص ومعهما جوانغ وزهانغ وكوانغ إلىٰ الغرفة، أمر المدير سكرتيره بأن يبدأ بالتفتيش. شرع السكرتير بالتفتيش في كل مكان وفتح الخزانة الخاصة بالسيد جوانغ ووجد فيها مبلغ خمسة آلاف يوان. أخرجها من الخزانة ونظر في عيني المدير وقال:

- سيدي لقد وجدت هذا المبلغ في خزانة السيد جوانغ!

اصفر وجهه وبدأ يسعل والعرق يتصبب من جبينه والغصة تخنق حلقه وأصيب بدوارٍ شديد. نظر في عيني المدير وأمسك يده وقال بصوت مرتجف:

- سيدي! سيدي! لابد إن هُنالك خطأً ما... صدقني أنا لم أسرق... لقد قام أحدهم بوضع هذه النقود في خزانتي ليلصق بي التهمة! صدقني يا سيدي أنا لم أسرق ولن أتجرأ علىٰ القيام بذلك مهما كلف الأمر! هناك مؤامرة تُحاك ضدي يا سيدي، صدقني أرجوك!

أفلت المدير يديه ودفعه علىٰ الأريكة ونظر في عينيه والنار تشتعل شراراً في عينيه وقال غاضباً:

- لقد انتهىٰ كل شيء! سأتصل بالشرطة لكي تحضر وتعتقلك لقد خرج الموضوع من يدي وهم بالمغادرة!

لحقه السيد جوانغ وجثىٰ علىٰ ركبتهِ وأمسك بساق المدير متوسلاً ومتضرعًا له لكي لا يتصل بالشرطة ويعتقلوه كالمجرمين وينظُر الموظفون إليه بعين الاحتقار بعد أن كانوا يحترمونه ويكيلون له كل الحب والتقدير.

وقف المدير لبرهة وأمره بأن يقف علىٰ قدميه وأن يحفظ ماء وجهه وهو بهذا العُمُر. نظر المدير في عينيهِ وعقد حاجبيه وقال:

- اسمع يا سيد جوانغ! سأعطيك فُرصة أخيرة وإن فشلت لا تلمني بعدها... سأمهلك يومين فقط لكي تُحضر المبلغ البالغ خمسة عشر ألف يوان بعد أن وجدنا الخمسة آلاف في خزانتك وسأكتفي بتوجيه عقوبة صغيرة لك وهذا هو الحل الوحيد الذي لدي وأنت حُرّ التصرُف... ما رأيك؟

مسح دموعه براحة يده وبلع ريقه وقال باكيًا:

- لكن يا سيدي من أين سأحضر هذا المبلغ الهائل وأنا أتقاضي راتبًا لا يتجاوز الألف يوان شهريًا؟ ومن سيوافق علىٰ إقراضي هذا المبلغ؟ وفي حال حصلت عليه كيف سأسدده؟ أترجاك يا سيدي أن تُعيد النظر في القضية! لا طاقة لي بتحميل نفسي وعائلتي هذا المبلغ الهائل الذي سيكون كالطوق في رقبتي لغاية موتي!

هز يده وأدار ظهره ومشىٰ وقال:

- لا أعلم تدبر أمرك وهذا هو الحل الوحيد... إن أعجبك أو لا؟

ثم همَّ بالمغادرة مع سكرتيره الخاص إلىٰ مكتبهِ.

****

جلس السيد جوانغ علىٰ الأريكة ودفن وجهه بين يديهِ وبدأ يبكي والدموع تنهمر من عينيه كالشلال وينتحب ويندُب حظه علىٰ المصيبة التي حلت بهِ وبعائلتهِ. لم يكُن يُفكر في نفسهِ فقط، بل كان يُفكر مليـًا في عائلتهِ وابنه الذي يدرُس في الجامعة وكيف ستعيش عائلته من بعده. فبكُل تأكيد سيضطر كيم أن يترُك الجامعة لكي يعمل ويكسب قوت يومه ليسد رمقه ورمق والدته التي سيُنهكها المرض والتعب بعد أن تتلقىٰ هذا الخبر الحزين.

تظاهرا اللصان بأنهما يدعمان السيد جوان وجلسا بجانبه وبدئا يطيبان خاطره ببعض الكلمات المعسولة التي تخرج من لسانهما المليء بالسُم والخُبُث كالأفعىٰ. ابتسما في وجه بعضهما ابتسامة صفراء تنُم عن الحقد والمُكُر والدهاء الذي أوقعا بهِ السيد جوانغ المسكين. نظر زهانغ في عيني شريكه اللص كوانغ وابتسم بطرف فمه وقال:

- كيف لنا أن نساعد هذا الرجُل المسكين الذي سيُسجن خلال يومين؟

هز كوانغ رأسه ومسح جبينه ودموع التماسيح تنزل من عينيه اللتان تقطران سماً وحقداً وتنهد وقال:

- لدي ألف يوان بإمكاني أن أقرضهم للسيد جوانغ المسكين... ويستطيع أن يستردهم في أي وقت يشاء فهو بمثابة والدنا ويجب أن نساعده في هذه المحنة التي يمُرُ بها!

هز زهانغ رأسه وتظاهر بالحُزُن والألم يعتصر قلبهِ وقال:

- وأنا لدي ألفين يوان بإمكاني أن أقرضهم للسيد جوانغ ويتبقىٰ أثنا عشر ألفاً، كيف سنجمعها له؟ يا لحظ هذا السيد المسكين! لقد نزلت عليه هذه المُصيبة كالصخرة علىٰ رأسهِ! هذا هو حال الشُرفاء!

رفع السيد جوانغ رأسه ومسح دموعه ووضع يده علىٰ يدي زهانغ وكوانغ وقال بصوتٍ مُنتحب والغصة تخنق حلقه:

- أشكركما أيها الأصدقاء! لن أنسىٰ هذا المعروف طيلة حياتي فجميعنا نتقاضىٰ مرتبات بالكاد تكفي لسد رمقنا... سأتقبل مصيري وأذهب إلىٰ السجن! هذا الأمر مكتوب علىٰ جبيني ويجب أن يحصل لي في أحد الأيام! وهم بالذهاب إلىٰ منزلهِ والحزن والألم يغمُرُ قلبه.

****

غادر اللصان الغرفة وكانا يمشيان بكل غرور وثقة كالطاووس بعد أن نجح مخططهما الشيطاني وأوقعا بالرجل المسكين. دخلا إلىٰ

غرفتهما يضحكان بقوة وكأنهما يشاهدان فيلماً كوميدياً. نظر كوانغ في عيني زهانغ وابتسم ابتسامة صفراء وقال له:

- لقد سرقت عشرين ألف يوان علىٰ حد علمي... لكن كيف وجد السكرتير خمسة آلاف يوان في خزانة السيد جوانغ؟

اقترب زهانغ من صديقه وطبطب علىٰ كتفهِ وتنهد وابتسم هو الأخر ابتسامة صفراء وقال له:

- يا لك من مسكين يا صديقي العزيز! وكيف لي أن أثبت بأن السيد جوانغ هو من قام بالسرقة! عندما قُطِعت الكهرباء ودخلت إلىٰ الغرفة وسرقت العشرين ألف قمت بوضع خمسة آلاف يوان في خزانة السيد جوانغ لكي تثبُت التهمة عليه... ما المانع بأن نخسر خمسة آلاف يوان ليست من ملكنا مُقابل التخلُص من هذا العجوز الشرير الذي يشغل هذا المنصب منذُ سنوات طويلة!

أدار كوانغ وجهه باتجاه زهانغ وهز رأسه وابتسم من طارف فمه وقال:

- يا لك من مُحتال وثعلب ماكر يا صديقي العزيز! لم تخطُر هذه الفكرة علىٰ بالي ابداً ونحنُ نضع خطتنا الشريرة!

جلس زهانغ ونظر في عيني صديقه وهز رأسه يميناً ويساراً وطقطق أصابع يديه وقال:

- لأنـك تُفكـر في التنفيـذ فقـط مـن دون وضـع الحلـول التـي تُساعدك في الخـروج بريئـاً وتُلصـق التُهمـة بـالآخرين... هـل رأيت مدىٰ ذكائي ودهائي؟

قهقه من الضحك وقال:

- بدأت أخشاك في حقيقة الأمر فأنت أذكىٰ مني بكثير ولا قـدرة لي علىٰ مجابهة هذه الكمية من المكر والذكاء!

ابتسم زهانغ وهز كتفيه وأطلق زفيراً ونظر في عيني صاحبه وقال:

- لا تقلق يا صديقي العزيز! الأفاعي لا تـؤذي بعضـها الـبعض! هل رأيت عقرب يلدغ عقرب من قبل!

أومأ برأسه بالنفي وقال:

- لا لم أر ذلك!

قضم شفتيه وبلع ريقه وقال:

- وهذا ما سيحصل لن نلدغ بعضنا البعض... عندما نخرج مـن هُنـا سنصـعد في سـيارتك وسـأعطيك سـبعة ألـف ونصـف يوان... ما هو رائُك؟

هز رأسه بالإيجاب وقال مُبتسمـاً:

- أنت عادل جداً يا صديقي المـاكر... رغـم إنـك تستحق أكثر من هذا المبلغ لكنك شخص كريم للغاية!

خرجا من الشركة وركبا بالسيارة وأخرج زهانغ النقود وتقاسمها مع شريكهِ في الجريمة، واتفقا علىٰ أن لا يعلم أي شخص بشأن ما حدث مهما كلف الأمر، أو حتىٰ لو كُشِف أحدهما.

كان زهانغ شارد الذهن ويُفكر فيما أقترفه ولم يؤنبه ضميره، بل شعر بأن ما فعله نصر علىٰ عدوه اللدود الذي لطالما ساعده في الماضي، لكن ليس كل من تساعده يرد الدين بشكلٍ لائق فقد ينتظر الفُرصة المناسبة للإيقاع بك.

كان يتخيل اللحظة التي ستأتي بها الشُرطة إلىٰ الشركة لتعتقل السيد جوانغ وكيف سيجتمع المدير العام معه ومع كوانغ وبقية الموظفين ليختاروا مديراً جديداً؟ وكيف سيتم اختياره كمدير جديد ليُخطط فيما بعد بطريقةٍ مُناسبة للإيقاع بالمدير العام عن طريق تدبير مكيدة مع رفيقه الخبيث ليُصبح المدير العام للشركة.

كانت طموحاته عالية ويُفكر بشكل دائم في الترقية بالعمل حتىٰ لو كلف الأمر أن يصعد علىٰ أكتاف الأٌخرين كقردٍ صغير يتسلق علىٰ أكتاف رفاقه ليتسلق الشجرة ويلتقط الموز. فغريزة الخُبُث تسري في دمهِ كما يسري الدم في الجسد. لم يكُن شخصاً عادياً، بل كان عبارة عن شيطان بهيئة إنسان وباستطاعته تدبير أي مكيدة أو مؤامرة للإيقاع بالآخرين.

****

خرج السيد جوانغ من الشركة ذليلاً ومُهانـاً ومُطأطأ الرأس ويجُر خلفه أذيال الخيبة وكأنه يحمل جبلاً من الهموم فوق ظهرهِ. كان يشعُر بأن الأرض ستبتلعه والسماء ستُطبق عليه من شدة الحُزُن والغم الذي أصابه. كان يائساً للغاية ويُدرك بأن نهاية حياتهِ قد حانت ولا سبيل للهروب من مصيرهِ المشؤوم.

عاد إلىٰ بيتهِ مشياً علىٰ الأقدام وكان يُفكر طيلة الطريق في الطريقة التي سيُخبر بها عائلته ما حل به؟ وكيف سيحصل علىٰ المال في سبيل الخلاص من هذه الكارثة؟ وما هو مصير عائلتهِ بعد أن يُلقىٰ في السجن؟ كيف سيُكمل ابنه الجامعة؟ وكيف ستتحطم أمالهِ وأحلامه في أن يُصبح أفضل مُهندس في كوريا؟

بان التعب علىٰ وجهه المُصفر وجبينه المتصبب بالعرق من حر الشمس. وأصبحت خطواتهِ ثقيلة وكأنه يسير في حقل ألغام. شعَرَ بالعطش بعد أن جف ريقه من التعب والإنهاك الذي أصاب جسده الهزيل. كان يشعُر بأن جبلاً من الهموم وغمامة من الآلام تحلق فوق رأسه ولا تفارقه كظلهِ.

اقترب من المنزل ولم يشأ أن يدخُل إلىٰ الداخل وهو بهذه الحالة الرثة، فدخل إلىٰ أحد المراكز التجارية بالقرب من منزلهِ، وذهب مباشرةً إلىٰ الحمام. نظر في المرآة ولاحظ السواد تحت عينيه التي جفت من الدموع كبحيرةٍ انقطع عنها المطر فجفت، وكيف أصبح وجهه أصفر اللون، شاحب، ملامح التعب والإرهاق واضحةً عليه.

فتح صنبور المياه وبدأ بتجميع الماء براحة يده وغسل وجهه الحزين والكئيب. شعَرَ بالراحة وكأنه كان في صحراء قاحلة فانقطعت عنه كُل السُبُل؛ ووجد ضالته أخيراً في هذا الماء. شعَرَ بأن الدم بدأ يسري في عروقهِ من جديد وأن الحياة دبت في نفسهِ مرةً أخرىٰ. كان قلبه يدُق بسُرعة وأنفاسه تتصاعد والنار بدأت تخمُد قليلاً.

خرج من المركز التجاري وعاد إلىٰ المنزل. فتح الباب وحيته زوجته التي لاحظت علامات التعب علىٰ وجههِ البائس وعقدت حاجبيها وقضمت شفتيها وبدت علامات الاستغراب واضحة عليها. لم تُحبذ فكرة أن تسأله عن أحواله فهو في وضع لا يسمح له بالإجابة علىٰ أي سؤال. توجه إلىٰ غرفتهِ واستلقىٰ علىٰ السرير، وبدأ يشعُر بأن حرارته مُرتفعة والحُمىٰ أصابته فبدأ يهذي ويتفوه بكلام غير مفهوم، جسده يرتجف وأنفاسه تتصاعد كالأمواج العاتية في البحر.

دخلت زوجته إلىٰ الغرفة ودب الخوف في نفسها. جلست بجانبهِ ووضعت يدها علىٰ جبينه المُتصبب بالعرق وأحست بحرارتهِ المُرتفعة وبجسده المرتجِف. سألته عما أصابه؟ فأجابها بكلام غير مفهوم وكأنه يقول لُغزاً. صعدت إلىٰ غُرفة كيم وأيقظته من نومهِ وأخبرته بأن والده في حالة يُرثىٰ لها وصحته في تدهور ولا تعلم ما الذي يجب أن تفعله؟

نهض كيم من فراشهِ كالمجنون ونزل الدرج مُسرعاً لغرفة والدهِ. دخل إلىٰ الغُرفة وجلس بجانب والدهِ ووضع يده علىٰ جبينه وشعَرَ

بحرارتهِ المُرتفعة وبآهاته وآلامه وبكلامهِ غير المفهوم. فخرج من المنزل وهم بالذهاب إلىٰ جارهِ لمساعدتهم في إيجاد طبيب. دق باب المنزل وخرج جاره الذي شعَرَ بأن مكروهًا ما أصابهم لأن كيم كان يلهث ووجه أصفر اللون وكأنه هارب من الموت. ألتقط كيم أنفاسه وأخبر جاره عن وضعية والدهِ وطلب منه المساعدة.

حضر جارهم معه إلىٰ المنزل ودخل وشاهد حالة السيد جوانغ التي كانت تزداد سوءاً بمرور الدقائق وطلب من زوجته أن تُحضر الثلج ومقياس الحرارة. وضع الثلج علىٰ جبينه المُشتعل بالنيران، وكان جسده ينتفض من مكانهِ من كُثرة الارتجاف. وضع مقياس الحرارة في فمهِ وكانت حرارته ٤٢ درجة. أخرج هاتفه وأتصل بأبن عمه الطبيب الذي يسكُن بالحي المجاور وأمره بأن يحضر فوراً.

وصل الطبيب وهم بالدخول إلىٰ المنزل وتوجه إلىٰ غرفة السيد جوانغ. أعطاه بعض الحقن والحبوب ودواء خافض للحرارة، وطلب من كيم أن يُحضر له بعض الأدوية من الصيدلية ليداوم علىٰ أخذها بانتظام. كانت حالة السيد جوانغ يُرثىٰ لها ولا أحد يعلم عن السبب الذي أدىٰ إلىٰ ذلك؟ أحس كيم بأن مُشكلةٍ ما حدثت له في العمل، لكنه لم يكُن يتوقع بأن يتورط أو يُتهم والده في السرقة.

****

في المساء تحسنت حالة السيد جوانغ وبدأ يشعُر بأن حرارته انخفضت وإنه أصبح قادراً علىٰ أن يُخبر عائلته بما حصل فلم يتبقىٰ له سوىٰ

يومين علىٰ تسديد المبلغ. طلب من كيم أن يساعده في الذهاب إلىٰ الصالة ليجلس هُناك. فرِحت زوجته عندما رأت حالته تتحسن، لكنها لا تعلم بالمصيبة التي تنتظرهم. أخبرته بأنها ستُعِد الحساء له لأنه لم يأكُل منذ الصباح. وافق علىٰ ما قالته وأجل الحديث في الموضوع لغاية انتهائِه من الطعام. نظر في عيني كيم بشفقة وكان يرىٰ كيف سيتدمر مستقبله وستتحطم آماله أمام عينيه كسفينة تضربها العواصف وتُمزقها إلىٰ قطع صغرة كما تحطمت آماله من قبل بسبب والده، لم يكُن يتوقع بأن أحواله ستؤول إلىٰ ما هو عليه الأن. كان يتوقع بأنه سُيصبح أبـًا مثاليـًا وسيفرح بتخُرج ابنهِ ورؤيته يتزوج ويُرزق بأحفاد يُلاعبهم في المنزل. كان يرىٰ هذا كشريط فيلم سينمائي أمام عينيهِ. ذرف الدموع وأنتحب والغصة تخنق حلقه وقال:

- كيم! أخبر أمك بأن تترُك الحساء وتأتي حالاً... لدي موضوع مُهم لأخبركم عنه!

ذهب كيم مُسرعـًا إلىٰ المطبخ وأخبر والدته عن إرادة أبيه. حضرا وجلسا أمامه وكانا يترقبان سماعه فالحماس يقتُلهُم. نظر في عينيهم بحسرة والدموع تُذرف من عينيه كالماء المتساقط من الشلال وطأطأ رأسه وتنهد وقال بصوتٍ متقطع:

- لقد حلت مُصيبة علىٰ رأسنا ولا أعلم كيف سنخرُج منها!

أتسعت عينا كيم ووالدته وأصابتهم الدهشة والرغبة في معرفة ما الذي حصل وقال كيم بصوتٍ مُنتحب والدموع تتلألأ في عينيهِ لأن إحساسه

كان يخبره بأن مستقبله سيتدمر والهم سيُلاحقهم والحُزُن سيُحلق فوق رؤوسهم:

- ما الذي حصل يا والدي العزيز؟

طأطأ رأسه وأخذ نفساً عميقاً وقال مُنتحباً:

- لقد سُرِق مبلغ خمسة عشر ألف يوان من المبلغ الذي كنت أقوم بعده اليوم! لا أعلم كيف سُرِق... لكن المدير أعطاني مُهلة يومين فقط لأعيد المال إلىٰ الخزنة وإلا سيُخبر الشُرطة وهذا هو الحل الوحيد... لا أعلم كيف سأتدبر هذا المبلغ ومن بإمكانه أن يقرضني هذا المبلغ الكبير؟ لقد حلت هذه المُصيبة كالصاعقة فوق رؤوسِنا!

بدأت زوجته تبكي وتنتحب وتُغمغم وتندب حظها العاثر وكيف دارت بهم الدُنيا وأوقعتهم في مُصيبة لا يعلمون كيف سيخرجون منها. ضربت علىٰ جبينها ودفنت وجهها بين يديها وبكت بحسرة وألم وقالت:

- ألا يوجد حل أخر؟ وكيف سُرِق هذا المبلغ؟

أخذ نفساً عميقاً وقال بأسىٰ:

- لقد كانت مكيدة مُدبرة إلي ولا أعلم من قام بذلك؟ لقد وجدوا مبلغ خمسة ألاف يوان في خزانتي ولابد أن شخصاً ما وضعها عن قصد في خزانتي... فتشوا في

الكاميرات لكنهم لم يجدوا أي شخص لأن من فعل ذلك استغل انقطاع التيار الكهربائي عن الشركة وقام بفعلتهِ وكنتُ أنا الضحية!

نظر كيم في عيني والده والدموع تُذرف ويرىٰ كيف سيتحطم مستقبله، وكيف سيترُك الجامعة ويضطر للعمل لكسب قوت يومه بعد أن يُسجن والده. رفع رأسه وتنهد وقال:

- الحل الوحيد أن نجمع المال خلال يومين وإلا ستأتي الشرطة وتعتقلك بتهمة الاختلاس من المال العام... أليس كذلك؟

هز رأسه وقال:

- نعم يا ولدي!

قضم كيم شفتيه وبلع ريقه وسأل والده:

- ألا تشُك بشخصٍ ما؟ فكر ملياً لعلنا نجد من قام بهذه الفعلة؟

نظر في عيني كيم وأطلق زفيراً حاراً وقال:

- يا ولدي الحبيب! الجميع يحبني في الشركة ولا توجد لدي أي عداوات لأني أتجنب المشاكل!

هز كيم رأسه بالنفي وقال:

- أنت مُخطئ يا والدي العزيز! هُنالك من يكرهك ويمقُتك بشدة لدرجة أنه سرق من المال ووضعه في خزانتك ليُلصق التُهمة بِك... فكر جيداً لكي نصل إلىٰ السارق!

أخذ نفساً عميقاً وقال بأسىٰ:

- لا قُدرة لي علىٰ التذكُر فأنا أحظىٰ بعلاقات طيبة مع الجميع... ولا أستطيع أن أتهم شخصاً بريئاً ولا يوجد لدي أي دليل علىٰ ذلك... أنا أعلم بأنه عمل مُدبر ومُحاك بشكل جيد للغاية... لكن من بإمكانهِ أن يفعل ذلك يا تُرىٰ لا أعلم!

قاطعه كيم:

- لكن يا والدي هذا مبلغ كبير وليس باستطاعتنا أن نتدبره... ماذا عسانا أن نفعل؟

ربت علىٰ يدِ كيم وقال:

- سنطلب من الجيران أن يقرضونا وأخبرني السيد زهانغ وكوانغ بأنهما سيقرضانني ثلاثة ألاف يوان ويتبقىٰ أثنا عشر ألف فقط!

نهضت الزوجة من مكانها وأشارت بسبابتها باتجاهه وقالت مُنتحبة:

- وأنا أملك ألفان يوان قمتُ بتجميعهم لأوقات الشدة وبهذه الحالة يتبقىٰ لنا عشرة ألاف يوان!

أتسعت عيناه ورفع حاجبيه وقال:

- هذا رائع! لكني أفكر كيف سنُعيد الدين إلىٰ الناس وأنا راتبي يكفي لسد رمقنا لا أكثر لا سيما أنت ووالدتك لا تعملان بخلاف بقية العوائل التي يعمل أفراد أسرتها جميعًا!

أحس كيم بالذنب وكأن والده يُخبره بأنك لو كنت تعمل لتمكنا من الحصول علىٰ المال بسهولة. وشرد ذهنه وبدأ يُفكر ويتساءل هل هذه هي ضريبة عمل والدهِ؟ هل حان الوقت ليترُك دراستهِ ويلتجأ للعمل ويُساعد عائلته؟ لكن كيف سيُحقق أحلامه؟ كيف سيُصبح أفضل مُهندس في كوريا؟ هل ينوي والده قول شيء مُعين، لكنه أحس بالخجل من قوله مباشرةً فالتجأ لقول ذلك؟ كانت هذه التساؤلات تُثير غضب كيم وامتعاضه الشديد. نظر في عيني والده وقال بنبرة غاضبة:

- يا والدي العزيز! إن كنت تقصد بأن دراستي تُسبب المشاكل لكم وتُحملكم أعباء مالية بإمكانكم توفيرها للمستقبل فأنا مُستعد أن أترُك دراستي وأعمل وأساعدكم في تدبير شؤونكم اليومية!

نهض السيد جوانغ من مكانهِ وشعَرَ بالامتعاض مما قاله كيم، أنبه ضميره علىٰ ذلك لأن كيم شعَرَ بأن دراسته هي السبب فقال:

- لا يا ولدي الحبيب! لست أقصُد ذلك... أنا أقصُد بأننا نملك مصدر دخل واحد وهو ما يُصعب تسديد الدين... لو كنا نملك أكثر من مصدر لما واجهنا أي مُشكلة!

هز كيم رأسه وقال:

- حسناً! حسناً! يا والدي العزيز لقد فهمتُك... سأخبر أصدقائي لعلهم يجدون حلاً لمشكلتنا وسنخبر الجيران كذلك... هل ستُخبر أعمامي بهذه الأمر؟

أومأ برأسه بالنفي وقال:

- لا يا ولدي! أنا أعلم جيداً بأنهم سيرفضون مساعدتي لأنهم منشغلين بظروفهم المعيشية الصعبة والقاسية... حالهم ليس أفضل من حالي فكل واحد فينا يعيش همه لمفرده ومرتبه بالكاد يكفي لسد رمقه!

قاطعه كيم مُنتفضاً:

- لكن يا والدي هذا واجبهم تجاهك لكي يُساعدوك في محنتك الأليمة!

زفر بحرارة وقال مُنتحباً:

- أنا أعلم ذلك... لكنهم لن يساعدوني وأنا متأكد من ذلك... بل سأصبح محل سخرية واستهزاء من قبل بعضهم... لن أرضَ بأن أكون مُثيراً للشفقة... أنا راضٍ بمصيري مهما كلف الأمر... لكني أحمل همك أنت ووالدتك المسكينة... كيف ستعيشون من بعدي؟ بكُل تأكيد ستضطر أن تترُك جامعتك أو تعمل وتدرس في الوقت نفسه... سامحني يا ولدي!

بدأ يذرف الدموع من عينيه مُجدداً ودفن وجهه بين يديهِ وأنتحب وأستطرد قائلاً:

- كنتُ أتمنىٰ أن أصبح والداً مثالياً وأراك تُنهي جامعتك وتُصبح أفضل مُهندس في البلاد... لكن المرء لا يعلم من أين تأتيه العاصفة التي تُحطمه وتُشتت كيانه وتُنهي أماله وتنهار قواه ويُصبح عاجزاً عن فعل أي شيء أمام ما يحدث له! للأسف أصبحت كوالدي الذي لم يستطع أن يرانا نكمل دراستنا... كنت أتمنىٰ أن أُغير مصيري لكن القدر كان أقوىٰ مني وغلبني وحطم أحلامي التعيسة!

ربت كيم علىٰ كتفهِ وقال:

- لا تقلق يا والدي! سنقوم بجمع المال وسنعطيه للمدير العام وستنجو من هذه المصيبة، وسترىٰ أحلامك تتحقق أمام عينيك وستذرف الدموع فرحاً لذلك!

طأطأ رأسه وقال مُنتحباً:

- آمُلُ ذلك يا ولدي الحبيب!

****

خرج كيم من المنزل وذهب إلىٰ صديقه زهانغ وطلب مساعدته بشأن والده وأعطاه ألف يوان فقد كانت حالة زهانغ المادية جيدة نوعاً ما وتسمح له بمساعدة الأخرين. طرق كيم أبواب الجيران جميعاً طالباً

للمساعدة، لكن البعض ساعده بمبلغ قليل، في حين رفض الكثير مساعدته لأنهم لا يملكون المال الكافي لسد رمقهم.

كانت الحالة الاجتماعية لأغلب العوائل مُزرية، ومن يملك المال يحتفظ به لنفسه ويُفضل أن يُساعد بهِ عائلته عوضاً عن ذلك. لم يستطع كيم أن يجمع أكثر من ثلاثة آلاف يوان وهذا المبلغ غير كاف إطلاقاً لتسديد المبلغ.

عاد كيم إلىٰ المنزل يجُر أذيال الخيبة والهزيمة كجندي خسر المعركة وشعَرَ بالحُزُن لأنه لم يتمكن من أن يُفلت حبل المشنقة من رقبة أبيه المسكين الذي سيُسجن بسبب ذلك. دخل إلىٰ المنزل مُطأطأ الرأس خائر القوىٰ، الهم والأسىٰ واضح علىٰ وجهه الشاحب. جلس بجانب والدهِ وطبطب علىٰ كتفهِ وأمسك يديه وقال والده:

- لا تحزن يا ولدي الحبيب! لقد فعلنا ما بوسعنا ولم نقف مكتوفي الأيدي... يكفينا إننا حاولنا لكننا لم نستطع أن نتدبر الأمر... دعنا نرضىٰ بما هو مكتوب لنا!

عانق والده بشدة وكأنه سيموت بعد دقائق قليلة، بكىٰ وانتحب وقال:

- عهدٌ عليَّ يا والدي العزيز ألا أدع من فعل ذلك ينجوا بفعلته... لن أسمح لمن تسبب بأذيتنا وحُزنِنا أن يفلت من يدي العدالة!

رفع السيد جوانغ رأسه وتنهد وأطلق زفيراً والدموع تتلألأ من عينيهِ وقال:

- هذا هو عهدي بك يا ولدي الحبيب! أنا لست حزينـًا لأنني سأودع في السجن... بل لأني سأشتاقُ لكُم كثيراً... الفراق لا يؤلم صاحبه، بل يؤلم من يحبونه! أنا راضٍ بنصيبي لكنني حزين علىٰ فراقكم وعن الحالة المأساوية التي ستصلون إليها بسببي!

الفصل الثالث

انقضت المدة المحددة للسيد جوانغ وحان وقت تسليم نفسه للشرطة. لم يستطع أن ينام الليل فالهم والحزن يجثيان علىٰ صدره كصخرة ثقيلة تكبت أنفاسه وتمنعه من الحركة. أصبح الوقت طويلاً والدقائق لا تمضي وكأن لحظات الألم تسير في طريق غير مُعبد ومليء بالصعوبات. أصبحت عيناه حمراوان ونشفت الدموع منها وأصوات أنفاسه تتصاعد كالمخنوق ودقات قلبه تتسارع وتتصاعد كالأمواج الهائجة.

لا يعلم كيف سيفارق عائلته بسبب سرقة ليس له فيها ناقة ولا جمل! هل وصل الظلم إلىٰ أن يُتهم شخص في سرقة ليس له يد فيها! هل وصلت الحياة إلىٰ مُنحنىٰ يقود اللصوص إلىٰ المناصب بينما يمكث الشرفاء في السجون وتهوي بهم الحياة إلىٰ الحضيض!

بعد محاولات مضنية ومُتعبة غط في نومٍ عميق ورأىٰ في منامهِ كابوسـًا أفزعه من مكانهِ. رأىٰ نفسه تائهـًا في الحياة ويسير في صحراء قاحلة وخالية من كل شيء. كانت حرارة الشمس الحارقة تضرب رأسه كالسهم وتخترق جمجمته. شعر بالإعياء والتعب الشديد، حاول أن يجد بركة ماء ليروي عطشه بعد أن أصبح بلعومهِ يابسـًا من شدة العطش والعرق المتصبب من جسده كالشلال.

بقي يسير في الصحراء ويذهب يمينـًا ويساراً ولا يجد أي بارقة أمل. حاول أن يصرُخ لكن صوته لم يخرج نتيجة التعب والعطش. سقط علىٰ الأرض مغشيـًا وبدأ ضغط دمه بالانخفاض نتيجة الجوع

والعطش الذي أصابه. تمكن من أن يستعيد قوته قليلاً وسار في طريقهِ فلم يجد ما يبحث عنه. وفجأة وجد نفسه مُحاطـًا بذئبين شرسين؛ واحد يقف أمامه والأخر خلفه. أخذ يتلفت والذئبان يتلفتان معه، كانا أسودي اللون، ويسيل من فمهما لعاب غزير ونظرات عيناهما مليئة بالغضب والحقد ومخالبهما حادة جداً وفي وضع الاستعداد للهجوم.

توسل إليهما لكي يتركاه، لكنهما لا يفهما ما يقول. جثىٰ علىٰ ركبتهِ وسقط علىٰ الأرض والخوف يدُب في نفسه وجسده يرتجف ولم يستطع أن ينبس بأي كلمة. هجم الذئبان عليه ينهشان لحمه ويشربان دمه بنهم وشراسة، فلم يتبق منه سوىٰ العظام.

استيقظ من النوم مفزوعـًا وما زال الخوف في نفسهِ. كان يتنهد ويلتقط أنفاسه بصعوبة، واستيقظت زوجته وسألته عما حصل؟ فقص عليها الكابوس المشؤوم الذي رآه. كان يعلم بأن تفسير هذا الكابوس هو الموت الذي سيفتك به لا محالة وكل ما عليه أن يستسلم له ولا يُبدي أي مقاومة فعاد إلىٰ النوم، لكنه لم يستطع أن يُغمض جفنيه لثانية وأخذ يُفكر فيما حصل له وكيف أُتُهِم بالسرقة.

****

استيقظ الجميع مُبكراً في الصباح وتوجهوا إلىٰ صالة المنزل. نزل كيم من غرفتهِ وأثار الدموع واضحة علىٰ عينيه اللتين لم يعرفا طعم النوم طيلة الليل. جلس بجانب والدهِ وعانقه وبدأ يبكي بحرقة وحسرة والغصة تخنق بلعومهِ. كان حزينـًا جداً بسبب ما حصل لهم وكيف

دارت الدنيا برحاها في غضون دقائق قليلة. كان يُفكر في دراستهِ والهم المُبكر الذي وقع علىٰ عاتقهِ! وكيف سيعيش بعد أن يُسجن والده!؟ وما هو نوع العمل الذي سيمارسه من الآن فصاعداً؟ وهل سيستطيع أن يوازن بين دراستهِ وعملهِ؟ كل هذه التساؤلات كانت تجول في بالهِ وتسبب تعباً وألماً له!

نظر السيد جوانغ في عيني كيم ومسح دموعه وقبله من جبينه ووضع راحة يده علىٰ خديه وقال بحسرة وحُزُن:

- يا بُني! لا أريدك أن تحزن ومن الآن فصاعداً أنت رجُل المنزل... أنا لا أعلم ما هو مصيري! وكيف سيتم التعامل معي؟ وهل من الممكن أن يتغاضىٰ المدير عما حصل ويعفوا عني؟ لكني أريد منك شيئاً واحداً فقط... أريدك أن تكون فخوراً بوالدك وتُكمل دراستك وأن تعلم بأن والدك لم ولن يسرق مهما حصل... هُنالك مكيدة دُبرت ضدي ولابد أن يأتي اليوم الذي ينكشف فيه السارق الحقيقي ويُعاقب... أنا ضحية لهذه المكيدة لكني راض بذلك... أريدك أن تعتني بوالدتك وتحرص عليها ولا تجعلها تحزن في يومٍ ما... إنها الإنسانة الوحيدة التي ستبقىٰ تُحبك مهما فعلت!

عاد كيم وعانق والده من جديد والدموع تُذرف من عينيه كالنهر الجاري. اقتربت منه والدته وعانقته وبدأت تبكي بحرقة وتتحسر علىٰ المصير الذي أصابهم وهوىٰ بهم إلىٰ الحضيض كسفينة ضربتها

عاصفة في منتصف البحر وحطمت أشرعتها ودمرت أجزائها وتركتها غارقة ومُحطمة في قاع البحر.

****

نهض السيد جوانغ من مكانهِ بعد أن حان موعد الفراق ويا له من موعد صعب وثقيل يُدمي العين ويُحطم الفؤاد ويترك الأثر السيء في النفوس. عانق زوجته وابنه وبدأ يبكي ويهز برأسهِ ويمسح جبينه وهم بالمغادرة إلىٰ الشركة.

وصل إلىٰ مقر الشركة وسار إلىٰ مصيرهِ المحتوم بخطوات بطيئة وثقيلة فخطوات الموت صعبة ومؤلمة. كان وجهه أصفر اللون وعينيه ذابلة من التعب والإرهاق وجسده نحيل وهزيل ويداه ترتجفان والخوف يدب في نفسهِ. كان يسير ويحمل الهم علىٰ ظهره كصخرة ثقيلة تُرهق كاهلهِ. لا يعلم ما هو المصير الذي سيتلقاه! وما هي الكلمات التي سيسمعها؟ هل ستكون كلمات جميلة تُنهي مأساته أم كلمات قبيحة تُنهي حياته؟

وصل إلىٰ غرفة المدير العام ودق الباب وأصوات نبضات قلبه تُسمع من بعيد. أمره المدير بالدخول وقبل أن يبادر بسؤاله لاحظ اصفرار وجهه وذبول عينيه وشحوب ملامحه وهزالة جسده والإعياء والتعب الذي أصابه، لكن رغم ذلك سأله:

- سيد جوانغ! هل تمكنت من جمع المبلغ المطلوب؟

طأطأ السيد جوانغ رأسه ومسح جبينه وقال بصوتٍ خافت والألم يعتصر قلبه:

- لا يا سيدي! لم أتمكن من ذلك!

رفع المدير رأسه ومسح جبينه وضرب المنضدة بيده. كان يود مساعدة السيد جوانغ وأبدا تعاطفـًا معه، لكنه كان مُضطراً لتنفيذ القانون والانتهاء من هذه المشكلة. تنهد وهز رأسه وقضم شفتيه وقال:

- سيد جوانغ! أنا مُضطر أن أبلغ الشُرطة بما حصل... أعتذر منك... لكن القانون ينطبق علىٰ الجميع ومن ضمنهم أنا، وسأكون مُعرضـًا للمساءلة في حال عدم تبليغي بما حصل!

جلس السيد جوانغ علىٰ الأريكة والدموع تُذرف من عينيه لأنه سمع مصيره المحتوم وأدرك ساعتها بأنه خسر كل شيء، رغم تمسكه ببصيص من الأمل ولو كان ضئيلاً. تنهد وبكىٰ بحسرة، لكنه استسلم في نهاية المطاف وأومأ برأسه مُعلنـًا عن موافقتهِ. نهض المدير من مكانهِ وجلس بجانبهِ وأمسك يده وطبطب علىٰ كتفهِ وقال له:

- أنا أعلم جيداً بأنك بريء... لكن يدي مُكبلة ولا أملك أي دليل علىٰ براءتك... ليتني أمتلك دليلاً ولو صغيراً لتمكنت من إخراجك من هذه الورطة بكُل سهولة!

نظر السيد جوانغ في عينيه بحسرة وهز رأسه وقال:

- يا سيدي المحترم! أود من حضرتك أن تعلم شيئًا واحداً فقط... أنا لم أسرق المال وما حصل كان مكيدة دُبرت في ليلٍ حالك بالظلام... أخلاقي ومبادئي لا تسمح لي بأن أسرق ولو رغيف خبز صغير فما بالك بمبلغ مالي كبير... نحن أناس نعيش بكرامتنا وأخلاقنا وسمعتنا الحسنة... وصدقني حتىٰ لو اتهمني الجميع بأني سارق أو مختلس سأبقىٰ كبيراً في عين نفسي وعائلتي لأني أعلم نفسي جيداً وأعلم من أنا ومن أكون!

هز المدير رأسه وقال بأسىٰ:

- أصدقك يا سيد جوانغ! الدنيا غير عادلة في كثير من الأحيان... يقع الشريف في المكائد وتهوي به الدنيا إلىٰ الحضيض... بينما يبقىٰ اللصوص وعديمي الأخلاق مُنعمين ومُترفين في الخارج!

****

بعد نهاية الحوار بين السيد جوانغ والمدير العام، نهض المدير من مكانهِ واتصل بالشُرطة ليبلغهم عما حصل. حضرت الشُرطة بسُرعة ودخلت إلىٰ غُرفة المدير مباشرةً وبدأوا بالتحقيق مع السيد جوانغ الذي لم يكن يمتلك دليلاً علىٰ نزاهته. أخرج الشرطي الأصفاد من جيبه وهم بوضعها في يدي السيد جوانغ. وعندما رأىٰ السيد جوانغ الأصفاد انخفض ضغطه وأحس بدوار شديد وكأن الأرض تدور

حوله. سقط مغشياً على الأريكة وبدأ يتنفس بصعوبة ودقات قلبه تتسارع وأصبح وجهه أزرق اللون والعرق يتصبب من جسدهِ المتشنج. شعر السيد جوانغ بأنه سيفارق الحياة وهذه هي اللحظات الأخيرة له في هذه الحياة القاسية التي لاقى فيها المُر في أخر أيامهِ. مرت عدة دقائق وهو على هذا الحال وحاولت الشرطة مساعدته، تحسسوا نبضات قلبه التي كانت تدق بسُرعة كالبرق قبل أن تتوقف، اختفت أنفاسه، وبدأ سائل أبيض اللون يخرُج من فمهِ؛ فارق الحياة.

نظر أحد أفراد الشرطة في عيني الضابط وقال:

- لقد فارق الحياة يا سيدي!

جلس المدير العام على كرسيه وبدأ يبكي ويمسح جبينه. أبدت الشرطة تعاطفاً مع السيد جوانغ بعد أن شعروا بأنه مظلوم وما حصل له كان عبارة عن مكيدة دُبرت له من أشخاص أخرين. اتصلوا بالإسعاف وحملوه في النقالة وأخذوه إلى المستشفى وسط دموع وصراخ ونحيب الموظفين الذين كانوا يحبونه كوالدهم ويأخذون منه النصائح والحكم الجميلة.

****

اتصلت الشرطة بكيم وأخبرته بأن والده فارق الحياة وموجود في المستشفى. نزل الخبر على مسامع كيم كالصاعقة المدوية. جلس على الأريكة والدموع تُذرف من عينيه ويضرب جبينه ويبكي وينتحب ويصرُخ والدهشة لا تفارق وجهه. سمعت والدته صراخه فركضت

باتجاهه وجلست بجانبه وربتت علىٰ كتفهِ وأحس قلبها بأن مكروهـًا أصاب زوجها المسكين وقالت بتمتمة:

- كيم! ما الذي حصل يا بُني؟ هل أصاب والدك مكروهـًا ما؟ تحدث يا بني لِمَ أنت ساكت ولا تتكلم؟

نهض كيم من مكانه وأخذ يمسح جبينه وأطلق زفيراً ونظر في عيني والدتهِ التي نهضت من مكانها ووقفت بجانبه وعانقها بقوة وقال لها:

- لقد توفي والدي بعد إصابتهِ بنوبة قلبية!

لم تستطع والدته أن تنبس بأي كلمة واتسعت عيناها من الدهشة وأخذت تُغمضها وتفتحها بسُرعة، هزت رأسها وقالت بصوتٍ منتحب:

- كيم! كيم! أنت لا تقول الحقيقة... أخبرني وقل لي بأن والدك ما يزال علىٰ قيد الحياة وما حصل كان مُجرد نوبة صغيرة!

ربت كيم علىٰ وجهها وقال بصوتٍ باكٍ:

- أمي! اصحي علىٰ حالكِ! لقد توفي والدي، هذه هي الحقيقة التي يجب أن تسمعيها!

سقطت مغشية علىٰ الأرض وفقدت وعيها. جلس كيم بجانبها ووضع رأسها في حضنهِ وأخذ يطبطب علىٰ خدها ويفتح عينيها ويقول لها:

- أمي! أمي! أصحي رجاءً!

نهض من مكانهِ كالمجنون وأخذ يبحث عن الماء وزجاجة العطر. ذهب إلىٰ المطبخ وأحضر الماء وهم بالركض مُسرعًا كالغزال إلىٰ غرفتها وأحضر زجاجة العطر وذهب باتجاهها. جلس علىٰ الأرض ووضع رأسها علىٰ صدره وفتح زجاجة العطر ورش القليل منه علىٰ يدهِ ووضعها علىٰ أنفها فبدأت تصحوا شيئًا فشيئًا، فأعطاها الماء لتروي ظمأها وتُرطب ريقها الناشف من الغصة التي أصابته. وأحتضنها وبدئا يبكيان بحسرة وألم.

نظرت في عينيه ووضعت يدها علىٰ خدهِ وقالت له:

- ارتدي ملابسك ودعنا نذهب إلىٰ المستشفىٰ!

****

ذهبا إلىٰ المستشفىٰ ودخلا إلىٰ ثلاجة الموتىٰ حيث يرقُد السيد جوانغ. رفع كيم الغطاء عن وجههِ الأزرق نتيجة الاختناق الذي أصابه ووضع رأسه علىٰ صدر والده وبدأ يبكي بحرقة وحسرة وأصبحت عيناه حمراوان من كثرة البكاء. بينما كانت والدته تقبل جبين زوجها وتتلمس وجهه الحزين وتنوح وتبكي علىٰ المصيبة التي حلت بهم.

خرجا من الغرفة وجلسا علىٰ الكراسي الموضوعة في الجانب. وضع كيم رأسه علىٰ كتف والدته وبكىٰ من جديد. كان قلبه يعتصر ألمًا ورأسه يكاد ينفجر من الحُزن. أصبحت الدنيا سوداء في عينيه ولا يوجد ما يدعوا للتفاؤل والمصائب تتوالىٰ وتسقط علىٰ رأسِهم واحدةً تلو الأخرىٰ كالنيازك التي تسقُط علىٰ الأرض.

أكملا إجراءات المستشفىٰ وذهبا إلىٰ المقبرة رفقة جيرانهم في الحي الذين كانوا يبكون وينتحبون علىٰ السيد جوانغ الشخص الفاضل المحبوب بين الناس. كان كيم يرىٰ دموع التماسيح والنفاق والرياء في عيني البعض الذين رفضوا أن يساعدوا والده عندما طلب منهم إقراضه بعض المال ليخرُج من مصيبته، لكنهم رفضوا ذلك، والآن يبكون عليه.

أحس كيم بأن هذه اللحظات هي التي تكشف الوجه الحقيقي للناس وتُظهر مدىٰ زيف مشاعرهم وتظاهرهم بأنهم يحبون السيد جوانغ، لكنه عندما التجأ إليهم رفضوا مساعدته وتركوه يواجه مصيره المشؤوم لوحده. كان يود أن يصرُخ في وجوههم ويُعري حقيقتهم الزائفة ويأمرهم بأن يزيلوا قناع الحزن الذي يرتدوه فهو غير لائق عليهم إطلاقًا، لكنه رأىٰ وجه والده أمامه وطلب منه أن يلتزم الصمت.

****

دُفِن السيد جوانغ وسط بكاء ودموع محبيه. الجوُ غائمٌ والرياحُ عاتية تعصف بالمكان، وكأن الدنيا تشعر بالحُزُن علىٰ رحيلهِ. غادر الناس بعد أن قدموا تعازيهم لكيم ووالدتهِ. طلب كيم من والدتهِ أن تذهب إلىٰ البيت لأنهُ يريد أن يبقىٰ برفقة والده وحدهم. أراد أن يتحدث مع والده لعله يسمعه ويشعُر بمعاناتهِ. وافقت والدته وهمت بالمغادرة إلىٰ المنزل.

وضع كيم رأسه علىٰ القبر وبدأ يبكي ويذرف الدموع وغيوم الحُزُن تُحلق فوق رأسه وقال: **" يا والدي العزيز الذي فارق الدُنيا حزيناً ومهموماً لِما أصابه... أعدك بأني سأعمل وسأبذل قُصارىٰ جهدي لنعيش حياة كريمة. سأدرس وأعمل في الوقتِ نفسهِ ولن نكون بحاجة إلىٰ أي شخص كما عودتنا في حياتك. لم نكُن بحاجة أي شخص في وجودك وسيبقىٰ الحال كما هو عليه في غيابك. سأهتم بوالدتي المسكينة وسأكمل دراستي وأجعلك فخوراً بي. أنا أعلم جيداً بأنك ستراني وستسمع أخباري وستفرح لفرحي وستحزن لحزني. صحيح أنك فارقت الحياة، لكن ذكراك الجميلة ستبقىٰ خالدة في ذاكرتي ومنقوشة في قلبي كما تُنقش الكتابة علىٰ الحجر. أعدك بأني سأكون أفضل مُهندس في كوريا وسيكون لي شأن كبير، لكني أتمنىٰ أن تقف الحياة بجانبي ولن تنقلب ضدي في ثواني كما حصل معك. أنا أعلم جيداً بأنك عشت حياتك شريفاً ومُت شريفاً ونزيهاً. لن أصدق أي كلام يُقال عنك وستبقىٰ سندي في الحياة ومنك تعلمت الحُب والإخلاص والتفاني والنزاهة والكرامة في العمل. ارقد بسلام ولتخلد روحك النقية في المكان الذي تستحقه.... الوداع يا والدي الحبيب".**

****

مضىٰ شهر علىٰ وفاة السيد جوانغ والأجواء في المنزل توحي بالحُزن والغم، كُل شخص لا يتحدث مع الآخر إلا نادراً، اختفت الأصوات من المنزل وأصبح كمنزل تسكنه الأشباح. كان كيم يجلس في غرفتهِ

وحيداً ويتذكر صوت أبيه ويشتاق لرؤية وجههِ البشوش. كان يشعُر بوحدة عارمة كشجرة تخلت عنها أوراقها وكأن الدنيا انقلبت رأساً علىٰ عقب ولم يعُد كُل شيء كالسابق. أحياناً تشعُر بأن الحياة تسير كما تتمنىٰ، وأنك ستُحقق طموحك وأحلامك، لكن الأيام الجميلة لا تدوم طويلاً كالعسل لا تبقىٰ حلاوة طعمه في لسانك لابد أن تختفي وتشتاق لمذاقه.

أما والدته فكانت تتذكره دائماً وتشم ملابسه وتحتضن وسادتها وتبكي بحسرة. أصابها المرض والوهن وأصبحت تتحرك بصعوبة وكأن الغم أكل جسدها ونخره كفهد ينقض علىٰ غزالة ويفتك بها. أصبحت غير قادرة علىٰ الخروج من المنزل كالسابق وكيم هو من يقوم بعملية التسوق والتبضع.

****

في أحد الأيام كان المدير العام نائم في غرفته؛ رأىٰ في المنام السيد جوانغ حزيناً. كان السيد جوانغ واقعاً في حفرة عميقة ويحاول الخروج، لكن لا سبيل للنجاة منها. اقترب منه المدير العام ومد يد العون له ليخرجه، لكنه رفض مساعدته. تفاجئ المدير من موقفهِ وبدأت الحيرة والريبة والشكوك تراوده عن سبب الرفض. جلس علىٰ الأرض وسأل السيد جوانغ عن سبب رفضه للمساعدة. نظر السيد جوانغ في عينيه المستشيطة من الغضب وعقد حاجبيه وقضم شفتيه وتنهد وقال:

- ألا يؤلمك ضميرك؟ كيف تستطيع أن تنام وشخصٌ أخر قد فارق الحياة بسببك؟

تعجب المدير من كلامهِ وأصابته الدهشة ونهض من الأرض ومسح جبينه وتلعثم في كلامهِ وحاول أن يتكلم، لكن نظرات السيد جوانغ كانت تكيل إليه أصابع الاتهام، وبدأ يبلع ريقه الناشف من القلق والعرق يتصبب من جبينهِ ويفتح ويغمض عينيه بقوة وكأنه تلقىٰ صفعة قوية علىٰ وجههِ أفاقته من غيبوبته. وفي نهاية المطاف تمالك نفسه وسأل بتردد وهو يضع يده علىٰ صدرهِ:

- أنا! أنا السبب! ما الذي فعلته لأكون أنا المذنب؟ أنت مُتهم بالاختلاس وأعطيتك فُرصة لتسدد المبلغ المختلس... لكنك لم تتمكن من تدبير المال! ما الذي يمكنني فعله؟ وماذا ستفعل لو كنت أنت مكاني؟

هز السيد جوانغ رأسه وقال غاضباً:

- اتفق مع كلامك! لكن المختلس ما يزال حُراً طليقاً في الخارج... في الأمس أوقع بي وتمكن من اتهامي... لا تعلم من سيكون الضحية التالية! من الممكن أن تكون أنت الشخص القادم!

نزلت الكلمات كالصاعقة علىٰ رأس المدير، وبدأ جسده يرتجف كالمُصاب بنزلة برد في ليالي ديسمبر الباردة والخوف يدُب في قلبهِ.

وبدأ يُفكرُ ملياً في كلام السيد جوانغ وكأنه جعله يستفيق من غيبوبته ومن الضباب الذي يمنعه من رؤية الحقيقة.

استيقظ من نومهِ مفزوعاً وتوجه إلىٰ الحمام وأخذ ينظُر في المرآة ويُفكرُ ملياً في الكلام الذي سمعه. مسح وجهه وأغمض عينيه وفتحها بسرعة وهز رأسه وقال: إن السيد جوانغ مُحِق في كلامهِ! من يعلم من هو الضحية الجديدة، لاسيما أن من فعل ذلك لا يزال يتردد إلىٰ وظيفته ويشعُر بالاطمئنان بعد أن ثبُت اختلاس السيد جوانغ والصقت التهمة به... يجب أن أذهب إلىٰ الشركة وأطالب بفتح التحقيق من جديد لعلي أصل إلىٰ المختلس الحقيقي.

ارتدىٰ ملابسه وهم مُسرعاً بالذهاب إلىٰ الشركة. دخل إلىٰ غرفتهِ كالبرق من سرعتهِ وطلب من السكرتير أن يُحضر له القهوة. فتح ربطة عنقه ومسح وجهه وحك شعره ودفن وجهه بين يديه، وأخذ يُفكر في المختلس الحقيقي وإلا من تُشير أصابع الاتهام. بدأ يستعيد تسلسل الأحداث أمامه كالشريط السينمائي ويربطها ببعض. وتذكر كلام السيد جوانغ عندما أخبره إن الكهرباء انقطعت وغادر غرفته ثم عاد.

ضرب جبينهِ بقوة ونهض من مكانه وأخذ يلكم الطاولة بقوة ويقول: ما أغباني! كيف ذهبت هذه الفكرة عن بالي؟ لماذا لم أراجع تسجيلات الكاميرا قبل أن تنطفئ الكهرباء وأعرف من قام بقطعها لعل الانقطاع يكون بفعل فاعل وليس صُدفة... هذا يعني بأن هُنالك مكيدة دُبرت للتخلص من السيد جوانغ وأنا كنت طرفاً غير مباشر فيها... لقد

استخدموني كالدُمية من غير أن أدرك ذلك... لقد أوقعوني في الفخ وأوهموني بأن السيد جوانغ هو المختلس الحقيقي... وأنا تسرعتُ واتهمته بالاختلاس وعندما لم يتمكن من تدبير المال طلبت الشرطة ومات الرجل من حزنهِ.

خرج من غرفتهِ مُسرعـًا كالفهد الجائع وذهب إلىٰ غرفة الكاميرات وطلب من الموظف المسؤول أن يعيد التسجيل إلىٰ يوم الحادثة وقبل انقطاع الكهرباء. رأىٰ في التسجيلات كيف قاما زهانغ وكوانغ بقطع التيار الكهربائي وأصابته الدهشة في لحظتها وبدأ يُدرك ويكتشف خيوط اللعبة ومن يقف وراءها.

أخذ التسجيل وذهب إلىٰ غرفته مُسرعـًا ومُستشيطـًا من الغضب وطلب من السكرتير أن يُحضِر زهانغ وكوانغ فوراً. ذهب السكرتير وأحضرهما ودخلا إلىٰ غرفة المدير. رمقهما بنظرات غاضبة وبدأت الريبة والخوف تدبان في قلبهما وأدركا بأن المدير أكتشف أمراً هامـًا وهذا هو سبب استدعائه لهما.

نهض المدير من مكانهِ وأشار لهما بالجلوس وبدأ يسير في الغرفة بخطوات بطيئة كمحقق في الشرطة ويمسح ذقنه ويرمقهم بنظرات صامتة وغاضبة. وقف أمامهما وتنهد وقال بثقة مُفرطة:

- أخبراني كيف قُمتم بعملية الاختلاس؟

توسعت عيناهما من الدهشة وبدئا ينظران في عيني بعضهما ويتلعثمان في الكلام ودقات قلبهما تتسارع وأنفاسهما تتضايق ونظرات الخوف واضحة في عينيهما وقالا بصوتٍ مُرتبك ومُرتجف:

- أيُ اختلاس يا سيادة المدير!

جلس علىٰ الطاولة التي تقابلهما ورمقهما بنظراته المخيفة وشعرا بالخوف لأنها المرة الأولىٰ التي يشاهدان فيها المدير العام غاضباً بهذا الشكل وأشار بسبابته تجاههما وقال:

- لا تحاولا أن تنكرا ما اقترفته أيديكما القذرة وأخبراني بالقصة كاملة!

هزا رأسيهما بالنفي قائلين:

- يا سيدي أي قُصة وأي اختلاس! نحن لم نقُم بأي اختلاس... هذه مُجرد أوهام وضربٌ من الخيال لا أساس له من الصحة... نحن موظفان نزيهان ولا توجد أي شكوىٰ ضدنا في السابق ومعروفان بسمعتنا الطيبة والحسنة!

ابتسم المدير من طارفِ فمهِ مُستهزئـًا وقال:

- كان السيد جوانغ كذلك... لكنه أتُهم بالاختلاس ومات علىٰ أثر هذه التُهمة... ما فرقه عنكما؟

نظرا في أعين بعض وقالا مُدافعين عن نفسيهما:

- يفرق كثيراً! إن التهمة ثبُتت عليه وأنت تُحاول أن تُلبسنا ما اقترفته أيدي السيد جوانغ... هل لديك دليل علىٰ ما تقوله؟

نهض من مكانهِ ووضع قرص الـCD في الحاسبة وهم بتشغيله وأدار الشاشة باتجاههما. شاهدا نفسيهما وهما يقطعان التيار الكهربائي ونظرا في عيني بعض وكأنهما تلقيا صفعة قوية علىٰ وجههما ودب الخوف في قلبهما وبدئا يتعرقان ويرتجفان. أخرج المدير القرص من الحاسبة ونظر في عينيهما وقال:

- ما هو رأيكما الأن؟ هل تستطيعان أن تخبراني لِمَ قطعتما التيار الكهربائي؟

أتسعت عيناهما من الدهشة حتىٰ كادت تنفجر في مكانها وقالا بتلعثم:

- لقد! لقد! لقد! كنا!

قاطعهما المدير العام غاضباً:

- أنا أخبركما ما الذي كنتما تفعلانه! قطعتما التيار الكهربائي لكي يخرج السيد جوانغ من غرفتهِ وبعد ذلك تتوجهان إلىٰ غرفتهِ وتسرقان المال وتضعان مبلغ بسيطاً في خزانتهِ أو ملابسهِ لكي تثبُت التُهمة عليه وتلوذا بالفرار بفعلتكما الشنيعة... كنتما تتصوران بأن الحادثة ستُنسىٰ بمرور الوقت وستنجح خطتكما... لا سيما بعد وفاة السيد جوانغ... لكن لابد للحق أن يظهر في يومٍ ما ويذوب الثلج وتظهر الحقيقة!

ازداد تصبب العرق من جبينهما وشعرا بأن المدير العام قد طعنهما في قلبهما. ولم يستطيعا أن يعرفا كيف يتصرفا بعد هذا الكلام الخطير المُثبت بالأدلة القاطعة، ورغم ذلك عادا إلىٰ طبع الثعلب المتميز بالمكر والخداع وقالا:

- لكن يا سيادة المدير هذا ليس دليلاً قاطعاً.... صحيح إننا قطعنا الكهرباء.... لكن هذا لا يعني بأننا سرقنا النقود ووضعنا البعض منها في خزانة السيد جوانغ!

رفع حاجبيه مُندهشاً وصرخ في وجهيهما:

- هل تتحدثان مع طفل! لنفترض بأن كلامكما صحيح.... هل تستطيعان أن تخبراني لماذا قطعتما التيار الكهربائي؟

بلعا ريقهما وقالا بتردد:

- لأننا! أردنا أن....

قاطعهما المدير العام صارخاً في وجههما وضارباً علىٰ الطاولة بكل قوته:

- يكفي كذب وخداع أيها اللصان! بسببكما توفي شخص بريء وتشتت عائلته وخسر كل شيء.... هل تعلمان بأن عائلته لا تمتلك راتباً تقاعدياً الآن باعتباره مُختلساً! كيف كنتما ستتصرفان لو كنتما بدلاً عنه؟ الظلم مؤذي ويحطم الفؤاد ويربك العقل ويشتت

الأفكــار... يجعلــك تائــه ولا تعلــم إلــىٰ أيــن يقــودك الطريــق كالسـراب تبقــىٰ تلحــق خلفـه لغايــة أن يختفــي ويتلاشــىٰ شــيئًا فشــيئًا! هــل أنتمــا علــىٰ اســتعداد للاعـــتراف بســـرقتكما أم أتصـــل بالشـــرطة وتتـــولىٰ الموضوع؟

أصيبا بالتوتر وأصبحا لا يستطيعان أن ينبسا بكلمة واحدة وكـأن القـط أكل لسانهما. ازداد ارتباكهما وبدئا يذرفان الـدموع ويـديهما ترتجفـان والخوف يدب في قلبهما ونظرا في وجه بعضـهما الـبعض وقـال زهـانغ العقل المدبر للسرقة:

- أنا مستعد للاعتراف بكل شيء.... وما قلته صـحيح! أنـا مـن خططت للسرقة وكوانغ كان مساعدي فيها واتفقنا أن نقطـع التيار الكهربائي لكي يخرج السيد جوانغ من غرفتهِ واستغل الفرصة وأدخل وأسرق المال وأضع جزءاً منه في خزانة السيد جوانــغ ويبقــىٰ كوانــغ في الخــارج يراقــب الوضــع وبعــد أن نجحت الخطة تقاسمنا المبلغ بيننا!

هز المدير رأسه وتنهد وبلع ريقه وصفق بيديه وقال:

- أحسنتما صنعـًا! أنا فخور بكما وبما فعلتماه! والآن ستعيدان المبلغ المسروق وسأتصـل بالشـرطة لكـي تتخـذ الإجـراءات اللازمة!

بدئا يتوسلان ويذرفان الدموع وينتحبان ويقولان:

- أرجوك يا سيادة المدير! لا تتصل بالشرطة! لقد اعترفنا بسرقتنا وسنعيد النقود وينتهي كل شيء!

هز رأسه بأسىٰ وهتف:

- وماذا عن السيد جوانغ؟ وماذا عن سمعته التي أصبحت في الحضيض بسببكما؟ وماذا عن عائلتهِ التي تعيش علىٰ بقايا الراتب الذي تركه لهما قبل الحادثة؟ ألم تفكرا كيف ستعيش عائلته من بعدهِ؟ انتهىٰ الأمر سأتصل بالشرطة لكي تعتقلكما.... فأنا لا أتشرف بالعمل مع لصين مثلكما! كيف لي أن أثق بكما وأنتما عبارة عن أفاعي ترتدي ملابس رجالية وتعمل مع الناس وتسرق أموال الدولة!

أصبح وجهه أحمر اللون وعيناه تستشيطان غضباً وصرخ في وجههما:

- أخرجا من المكتب بسرعة وأحضرا النقود بأسرع ما يُمكن!

****

في صباح اليوم التالي أحضرا النقود وكانت حالتهما يرثىٰ لها. لم يستطيعا أن يناما الليل وأصبح وجههما أصفر اللون وشاحب وتحت عيناهما هالة سوداء من كثرة التعب والإرهاق والإدمان في التفكير.

أخذ المدير العام المال وأودعه في الخزينة وحضرت الشرطة وكبلت أيديهما بالأصفاد واقتادتهما إلىٰ السجن. كانا يمشيان في الممر وعيون الموظفين تشتعل غضباً وناراً ويودون أن يأكلاهما ورمقوهم بنظرات

استهجان وسخط. كانا ذليلان ويطأطأن رأسهما ويسمعان شتىٰ العبارات النابية والأوصاف القبيحة.

****

شعر المدير بالارتياح وكأن جبلاً من الهموم نزل من ظهره. أمسك هاتفه واتصل بكيم مُبلغـًا إياه بأن والده بريء وقد أُمسِك باللصين الحقيقين وسيتم صرف راتبـًا تقاعديـًا له بعد أن تنتهي إجراءات المحكمة.

انتابت كيم سعادة عارمة وأحس بأنه يُحلق في السماء، رغم علمه بأن الراتب التقاعدي لا يكفي لسد رمقهم ولابد أن يعمل ليؤمن قوت يومه ويعيش حياة كريمة، لكنه كان سعيداً لأن والده شريف ونزيه وستبقىٰ سمعته نقية وسيفتخر بوالده أكثر من السابق. نزل من غرفتهِ مُسرعـًا وانتهت وحدته وكآبته وتوجه إلىٰ غرفة والدته. دخل مُباشرةً إلىٰ الغرفة من دون أن يطرق الباب وعانقها والابتسامة تعتلي وجهه وقال لها:

- أمي! أمي!

قاطعته والدته الحزينة قائلة:

- ما خطبك! أراك سعيداً والبسمة تعتلي وجهك! ما الذي حصل؟

أخذ نفسـًا عميقـًا وقال والابتسامة تعتلي وجهه:

- اتصل بي المدير العام وأخبرني بأن الشرطة أمسكت باللصين الحقيقيين، وأن والدي بريء وسيصرفون لنا راتبًا تقاعديًا.... أفرحي يا أمي كان أبي نزيهًا ومات نزيهًا وسيبقىٰ نزيهًا.... لن تتصوري مدىٰ سعادتي بعد سماع هذا الخبر!

اتسعت عيناها من الدهشة وبدء قلبها ينبض بقوة وجسدها يرتجف والدموع تُذرف من عينيها وعانقت كيم وقالت:

- كنتُ متأكدة بأن والدك بريء ولم يختلس المال!

مسح كيم دموعها وقبلها من جبينها وعانقها وقال لها:

- أحبك يا أجمل أم في الحياة.... لن أدعكِ تحتاجين لأي شيء من الآن فصاعداً.... سأعمل بجد وسأدرس وأرفع رأس أبي وسأحقق أحلامي جميعًا!

ربتت علىٰ يدهِ وقالت والدموع تسيل من عينيها:

- أتمنىٰ لك كل الخير يا ولدي الحبيب! أعلم بأنك مُجتهد وتُحب أن تكون خير عونٍ لنا.

****

مرت عدة أشهر وبدأت عائلة السيد جوانغ تستلم الراتب التقاعدي، لكنه لم يكُن كافيًا مما اضطر كيم أن يبحث عن عمل. وجد عملاً في أحد المحال التجارية لبيع الألبسة وبدأ العمل والدراسة في الوقتِ

نفسهِ. كان سعيداً في عمله لاسيما أنه يعمل في المساء ويدرس في الصباح وعندما يعود إلىٰ المنزل يبدأ بقراءة دروسهِ. كان ذكيًا ومُجتهداً للغاية وكسب رضىٰ مديره في العمل قبل وقوع الكارثة التي حطمت أحلامه.

في أحد الأيام كان مُنهمكًا في العمل ويضع الملابس في الحقائب ويعطيها للزبائن بعد أن يدفعوا المبلغ اللازم. أتت سيدة متوسطة في السن، بدينة الجسد، ذات عينين سوداويتين، وشعر أسود فاحم، ورأته من بعيد وأعجبت به فبقيت تنظر إليه. لمحها وهي ترمقه بنظرات غريبة. أشارت إليه ليأتي ويقف بجانبها، أتي كيم ووقف بجانبها وأخبرها إن كانت بحاجة للمساعدة. أمسكته من ياقته ونظرت في عينيه بنظرات إعجاب وقالت له:

- أنت شاب وسيم جداً! ما رأيك أن نرتبط ببعض وأجعلك تتخلص من هذا المكان غير المناسب لشاب وسيم مثلك؟

أُصيب كيم بالصدمة عند سماعهِ لهذا الكلام وأغمض عينيه وفتحها بقوة وتنهد وبلع ريقه وقال:

- لكني سعيد بالعمل هُنا ولا أرغب بتركه.... وأنا لا أفكر بالارتباط فلدي طموحات أعلىٰ من ذلك أسعىٰ لتحقيقها!

شعرت المرأة بالغضب ورمقته بنظرات حاقدة وبغيضة وأحست بالإهانة ودفعته وقالت له مهددةً:

- سأجعلك تندم علىٰ فعلتك هذه!

أنهت التسوق وذهبت لتدفع الحساب. وقفت أمامه وأعطته الملابس وحسب سعرها ووضعها في الحقائب وأبلغها عن المبلغ الكلي. أخرجت المبلغ ناقصاً وأعطته لكيم. عد النقود وقال لها بأن المبلغ ناقصاً.

تظاهرت بأنها دفعت المبلغ بالكامل وأنه يتحايل عليها لتدفع أكثر وصرخت بوجهه قائلة:

- أنت مُحتال وتكذب عليَّ! لقد أعطيتك المبلغ كاملاً وأنا زبونة لدىٰ هذا المحل وأتسوق منه دائماً.... لماذا لم تحصل هذه المشكلة إلا معك؟

هز رأسه بالنفي قائلاً:

- لا أعلم يا سيدتي! لكن هذه هي الحقيقة! إن المبلغ ناقص ويجب أن تدفعي المبلغ المتبقي!

صرخت في وجهِ مُهددةً:

- سأجعلك تندم علىٰ هذا التصرف أيها الشاب الوسيم!

همت بالمغادرة إلىٰ مدير المحل وبدأت تذرف الدموع. تعاطف معها المدير وطلب منها أن تهدأ وتبلغه بالمشكلة التي حصلت لها. نظرت في عينيه وقالت له:

- إن الشاب الذي يعمل في الحسابات تحرش بي واتهمني بأني أعطيته المبلغ ناقصـاً.... رغم إني أعطيته كاملاً، وأنا زبونة لمحلكم وأتسوق منه دائماً.... هل يُرضيك أن أُعامل بهذه الطريقة؟

نهض المدير من مكانهِ وشعر بالغضب وخرج من غرفتهِ وصرخ علىٰ كيم ليأتي إلىٰ غرفتهِ. أتىٰ كيم مُسرعـاً وأحس بأن هُنالك مكيدة تُدبر له من هذه السيدة. دخل إلىٰ الغرفة ووقف أمام المدير ورأىٰ المرأة تبكي وتنتحب وتشتكي منه. رمقه المدير بنظرات غاضبة وقال له:

- كيف تجرؤا علىٰ التحرش بزبونة محلنا وتتهمها بأنها لم تدفع المبلغ كاملاً؟ ألا تستحي من ذلك؟

صُعِق كيم من الصدمة وبدت علىٰ وجهه علامات التعجب وقال:

- يا سيدي! إن ما قالته المرأة بشأن التحرُش غير صحيح.... هي من طلبت مني أن أرتبط بها ورفضتُ ذلك وأعطتني المبلغ ناقصـاً!

صرخ في وجههِ:

- اخرس أيها الكاذب! أنت مفصول من الآن!

أخرج مبلغـاً من المال من خزانته وأعطاه لكيم وصرخ بوجهه قائلاً:

- خذ هذا راتبك! لا أريدك أن تعمل معي منذ الآن فصاعداً! هيا أذهب بسُرعة!

الفصل الرابع

خرج كيم يجُر أذيال الخيبة والهزيمة كشخص تائه في الصحراء وجد بركة ماء وعندما وصل وجدها سراباً. سار في الشارع شارد الذهن وكأن غمامة سوداء تُحلق حول رأسهِ وهالة من العُتمة تدور حول عينيه وتحجب عنه الرؤية. وصل إلىٰ شاطئ النهر وجلس علىٰ ركبتيه وضرب جبينه ونزلت دمعته كطفل فقد لعبته ولم يجدها.

أخرج سيجارة من جيبهِ ووضعها في فمهِ وأشعلها بقداحتهِ، سحب نفساً عميقاً من الدُخان فأختنق وضاق نفسه، مؤلم أن تتجرع السم بيديك رغم علمك بأنه مؤذي، لكنك تضطر لتجرعه لكي تُخفف من الأمك وأوجاعك.

نهض من مكانه وأسند ظهره علىٰ شجرة قريبة منه ويرتشف دخان سيجارته مُتجرعاً دُخانها القاتل الذي يخنُق أنفاسه كالأفعىٰ التي تلتف حول فريستها فتخنقها وتبتلعها. مسح دموعه وتنهد وتخيل صورة والده أمامه وكلامه المعسول الذي كان يقوله له. بكىٰ من جديد وأطلق زفيراً نابعاً من أعماق قلبه وقال:

«ليتك بقيت هُنا يا أبي... أحتاجك الآن كاحتياج الطفل لأمه... أنا ضائع وتائه في دهاليز الحياة كبحار فقد بوصلته وضاعت سفينته في منتصف البحر وبدأت الأمواج تقذفه إلىٰ كل جانب فلا يستطيع أن يُكمل طريقه ولا يعود إلىٰ نقطة البداية! رحيلك عني قتل كل شيء جميل داخلي! لكني أود أن أخبرك بأن من تسبب بموتك وقع في الفخ الذي نصبه لك... هذه هي سُنة الحياة في لحظة تُشعرك بأنك في القمة

وفي غضون ثواني تنقلب وتدور بك وتُعيدك إلىٰ الحضيض! لكن أمي مريضة للغاية وتشتاق لصوتك ووجودك في المنزل... تأوي كل يوم إلىٰ فراشها ليلاً... تحتضن وسادتك وتشتم عبق عُطرك وتبكي وتتألم وتنتحب... ما يؤلمني أني أقف عاجزاً عن مُساندتها ولا أستطيع أن أخفف من ألامها وأوجاعها ولو بكلمة بسيطة تُرقق قلبها المفطور ألمـًا... كيف يستطيع الإنسان أن يُلملم شتات نفسه بعد أن ضاعت في مهب الريح... هل تستطيع أن تُعيد الزجاج المكسور كما كان حاله في السابق!»

وضع يده علىٰ رأسه ومسح شعره وأغمض عينيه وفتحها وتنهد وقضم شفتيه وأخرج سيجارة أخرىٰ وبدأ يُدخن مُجدداً وتخيل والدته أمامه وقال لها:

- أمي العزيزة! أعلم بأنكِ كُنتِ تعتمدين علىٰ والدي في كُل شيء- حتىٰ في أبسط الأمور- ليتني أستطيع أن أخبركِ بأني لستُ مؤهلاً لتعويض والدي... فهو غير قابل للتعويض... ليس كل شيء يُمكن تعويضه إذا رحل... فبعض الأمور رحيلها يكسرُنا ويُشتت تفكيرنا ويُنهي أمالنا وطموحاتنا... أنا مثالٌ علىٰ ذلك كنت أطمح أن أكون أفضل مُهندس في كوريا وأصمم تصاميم هندسية رائعة للغاية للعمارات والبنايات... لكن رحيل والدي شتت أحلامي وطموحاتي... أنا تائه بين عملي الجديد ودراستي ومستقبلي... لماذا الحياة غير عادلة في لحظة تظُن بأنك عصفور صغير جالس في عشهِ

ويُحضر والداه الطعام ويطعمونه... وفي لحظة يرحل والدك وتمرض أمك وتصبح طريحة الفراش...وتُصبح مُضطراً للقيام من عشك والطيران بجناحيك الصغيرين بحثاً عن لُقمة العيش... فتحاول الطيران وتسقط وتفشل فتنهض وتحاول مجدداً فتسقط وتفشل مرةً أخرىٰ في الوقت الذي تكون والدتك في أمس الحاجة إليك لتُطعمها... فتظل حائراً بين والدتك ومحاولاتك للنهوض من مأساتك المؤلمة... ولغاية أن تُصبح قادراً علىٰ الطيران وتُحلق بجناحيك تجدُ نفسك فقدت الكثير من الوقت والجُهد فتشيبُ وأنت صغيراً ويرحل عنك من تُحب وتجدُ أقرانك وصلوا إلىٰ مراتب عُليا وأصبحت لديهم عوائل يهتمون بها وأنت ثابتاً في مكانك لا تستطيع العودة إلىٰ ماضيك ولا تعيش حاضرك ولا تستطيع التخطيط لمستقبلك المجهول!

****

عاد كيم إلىٰ المنزل مُحبطاً، عيناه حمراوان من البُكاء ووجهه شاحب من الحُزن. فتح الباب ومشىٰ بخطوات بطيئة لكي لا تشعُر والدته بوصوله. صعد السلم ودلف إلىٰ غرفتهِ وارتمىٰ علىٰ السرير كالمُصاب برصاصة اخترقت أعماق قلبه فقطعت الدم عن جسدهِ. أصبح يشعُر بأنه مُثقل بالوجع والهم وفي اللحظة التي تبتسم له الحياة

تأتي عاصفة وتطرحه أرضـًا كطيار سقط مـن طيارتـهِ وأرتطـم رأسـه في الأرض وفقد قدرته علىٰ المشي والنهوض من واقعهِ المؤلـم.

دفن وجهه في الوسادة وبدأ يبكي بحرقة وألم وكأن صخرة من الهمـوم فـوق ظهـره تمنعـهُ مـن الحركـة ولا تُمكنـه مـن النهـوض ونفـض هـذه المشاكل التي تُحيط بـه. طرت علىٰ بالـهِ ألاف الأفكـار والتخيلات السيئة. أصبح إنسـانـًا سـلبيـًا للغايـة ولا يوجـد بصيص أمـل صـغير في مُخيلتهِ. تُجبرك الحياة أحيانـًا أن تُفكـر بطريقـة سـلبية بعـد أن تلوعـك بمرارتها وتُنسيك شيء يُدعىٰ الإيجابية كغريق في منتصف البحر ترميـه الأمواج يمينـًا وشمالاً.

نهض مـن فراشـهِ ودخـل إلـىٰ الحمـام وفـتح صـنبور الميـاه ونظـر إلـىٰ وجهه في المرآة وتفاجأ من التغير المفاجئ في شكلهِ وكيف غير الحُزُن ملامحه من شاب صغير وسيم والابتسامة لا تفـارق وجهـه إلـىٰ رجـل كبير في السن وملامح الألـم تطغي علىٰ وجههِ البريء والتجاعيد تغـزو خديه وتحت عينيه لتحوله إلىٰ شخص بائس ولا يعلم إلىٰ أين السبيل في هذه الحياة القاسية؟

ضرب الحائط بيديه وصرخ مـن أعمـاق قلبـه كصـرخة المظلـوم الـذي سيُعدم شنقـًا بسبب جريمة لم يكُن له فيها ناقة ولا جمل. وجلس علىٰ الأرض ودموعه تتساقط من عينيه كشلال ماء مُنهمر وأصبح المشـهد أمامه عبارة عن سواد وظلام دامس.

سمعت والدته صراخه وأحسها قلبها بأن أمراً سيئـًا قد حصل. حاولت أن تنهض مـن فراشـها والتعـب يغـزو جسـدها الهزيـل بسـبب المـرض

الذي بدأ يأكل جسدها كالنار في الهشيم. قاومت وجعها ونهضت من فراشها واتكأت على الحائط وبدأت تصعد السلم بخطوات بطيئة ونبضات قلبها تتسارع وأنفاسها تتصاعد.
وصلت إلىٰ غرفة كيم وصرخت باسمه: كيم! كيم! اين أنت يا بُني! لكنه كان غارقٌ في أحلامهِ الضالة وأفكاره السوداوية. دخلت إلىٰ الحمام ووجدته مُمدداً علىٰ الأرض فاقداً للوعي كمريض داخل في غيبوبة.

اقتربت منه وجثت علىٰ الأرض وطبطبت علىٰ خدهِ وصرخت بشدة: "كيم! كيم! استيقظ يا ولدي! ما الذي أصابك!". لم يكُن قادراً علىٰ الإتيان بأي حركة كأسير مُقيد بالأغلال، لكنه كان يسمعها ويتألم لحُزنها.

نهضت من مكانها وعادت إلىٰ غرفته تبحث عن قدح ماء. بحثت وفتشت كالمجنونة في أرجاء الغرفة جميعًا، لكنها لم تُحقق مُبتغاها. نزلت السلم بصعوبة ودلفت إلىٰ المطبخ وأحضرت القدح وعادت مُسرعة إلىٰ غرفتهِ. في منتصف السلم أحست بالتعب الذي نال منها نصيباً كبيراً. جلست علىٰ السلم واضعةً راحة يدها علىٰ قلبها تتحسس نبضاته المُتسارعة. كان جسدها يرتجف وأحست لوهلة بأن قلبها سيخرج من مكانه. بقيت مُمددة علىٰ السلم لدقائق وقررت بعدها المضي في طريقها لإنقاذ ابنها الوحيد.

زحفت ببطء شديد متسلقةً خيوط الأمل لإنقاذ فلذة كبدها من الضياع. مؤلم أن ترىٰ من تُحب يفقد حياته، لكنك عاجز عن مساعدته بسبب ظروفك الصحية. كانت غريزة الأمومة فيها كالنور الذي يُنير النفق في عُتمة الظلام. كانت علىٰ استعداد للتضحية بنفسها بغية الوصول إلىٰ ولدها، فضربتين علىٰ الرأس مؤلمة وتُفقدك تركيزك وتُشتت شملك.

****

وصلت إلىٰ الحمام ومازال كيم مُمدداً علىٰ الأرض كالقتيل ونبضات قلبه غير مُستقرة. نهضت من الأرض واتكأت علىٰ حوض الغسيل، فتحت صنبور الماء وملأت القدح. نزلت علىٰ الأرض وبدأت ترُش الماء علىٰ وجه كيم وتُطبطب علىٰ خدهِ مناديه باسمه.

صحىٰ من غيبوبته وكأن صوت والدته كان العلاج الذي أفاقه. تنهد وسعل وأنفاسه تتسارع ونبضات قلبه تخفُق بسُرعة. دفن وجهه في حضنِ والدتهِ ومسدت خديه براحة يديها وقبلته من جبينه وبكت وانتحبت وقالت:

- كيم! اسمعني يا بني الحبيب... أنت ما تزال شاباً صغيراً كالياسمين ووسيماً كالقمر وذكياً كالنابغة وقوياً كالجبل وطموحاً للغاية... لكن ما الذي جعلك بلحظة واحدة تنهار بهذه الطريقة كأرضٍ خضراء تعرضت لسيل مائي شديد جرف محاصيلها وأضحت أرضاً بور؟

اتسعت عينيه من الدهشة وتسارعت أنفاسه وتلكأ في إخبارها بحقيقة ما حصل، لكنه اضطر إلىٰ إخبارها بما حصل. بكىٰ في حُضنها وندب حظه السيء الذي يُلاحقه كظلهِ أينما رحل. تألمت من كلامهِ ومن الاتهامات الباطلة التي وُجهت له ورفعت رأسه ووضعت يديها علىٰ خدهِ ونظرت في عينيه وقالت:

- اسمع يا كيم! ما سأخبرك به مُهم للغاية... أنت مصيرك كوالدك ستتعرض للظلم منذ نعومة أظافرك وأينما تذهب في هذا البلد ستتعرض للموقف نفسهِ وليكن في ما حصل لوالدك عبرة... إن لم تستغل وتتعلم مما حصل لغيرك لن تتعلم طوال حياتك... الحياة تُعطيك الدرس ثُم تُعلمك...

قاطعها قائلاً: وما الحل يا أمي؟

رفعت رأسها وتنهدت وبكت بحرقة وقالت:

- أهرب كالأسير الذي يهرُب من السجن!

اتسعت عيناه من الدهشة وشرد باله بعيداً من هول الكلام الذي سمعه كصخرة سقطت علىٰ رأسهِ وقال:

- إلىٰ أين أهرب؟ وكيف؟

مسحت جبينها وأحست بأن هذه هي اللحظة الحاسمة التي ستُغير مصيرها ومصيره إلىٰ الأبد. تنهدت وأطلقت زفيراً وقالت:

- إلىٰ كوريا الجنوبية!

صُدِم من هول ما سمعه ونهض من مكانهِ ومسح رأسه براحة يديه ونظر إليها ونيران الشر تلمع في عينيه الغاضبتين وقال:

- كنت أفكر في الهرب منذ وقتٍ طويل... لكن وجودكم في حياتي كان يمنعني من القيام بذلك... إضافةٍ إلىٰ إن هذا الموضوع ليس بالأمر السهل للقيام به... فنحن مُحاطين بالجيش من كل مكان وحيثما ذهبنا... هذا الأمر يتطلب الكثير من التفكير والتخطيط المُتقن!

تنهدت بحرارة وقالت ناصحةً:

- كيم! لا تُفكر في عائلتك بعد الآن... والدك رحل وأنا سألحقه في القريب العاجل... أنت ما تزال شاباً يافعاً ولديك الكثير من الوقت لتتمتع بحياتك... أهرب بنفسك وأنجو بجلدتك... هذا البلد غير صالح للعيش... بل عبارة عن سجن كبير مُحاط بالكاميرات والجيش في كل مكان... يمنعك حتىٰ من قص شعرك بالطريقة التي ترغب بها إلا بعد أخذ الإذن من الحكومة... يقتُل طموحك وأحلامك... تعيش حياتك مُخططاً لما تود الوصول إليه... لكنه يصفعك علىٰ خدك ليُخبرك بأن تفيق من غيبوبة أحلامك وتعود إلىٰ واقعك المؤلم المليء بالأسىٰ والهم والحُزُن... أنت في مقتبل العمر ولديك أحلام وطموحات تسعىٰ لتحقيقها... أنظر بنفسك كيف كُنت تُخطط لتُصبح أفضل مُهندس في

كوريا... وأنظر الآن إلىٰ وضعك المذري... هل تظن بأنك قادر علىٰ مواجهة هذا الكم من الأذىٰ والصفعات المتتالية... هذا البلد لا يملك العدالة، وعندما تغيب العدالة يُصبح الوضع عبارة عن غابة كبيرة فاقدة للقوانين والنظام حيث ينهش القوي الضعيف ويستعبد الآخرين فارضًا شروطهِ عليهم... لو كان يملكها لما وصل حالنا إلىٰ ما هو عليه الآن... لما مات والدك من القهر نتيجة الظلم الذي تعرض له... ولما اتسخت سمعته النقية كالألماس ونُعِت بالسارق... ولما وصل بك الحال إلىٰ أن تضطر للعمل والدراسة في الوقتِ نفسهِ... هل تظن بأنك تستطيع أن تُكمل في هذا الطريق المليء بالأشواك والمعوقات... هذه أول صفعة تتلاقها في حياتك بعد طردك من عملك ظُلمًا... ستتوالىٰ هذه الصفعات أينما ذهبت... ستتألم كثيراً وتمرض وتموت شابًا ولن تُحقق أي من طموحاتك... هل تعلم بأننا لا نملك رغيف خُبز... ونفذ دوائي وتدهورت حالتي الصحية أكثر... هل رأيت بنفسك كيف تخلىٰ عنا أقاربنا ومعارفنا وتركونا نغرق في البحر لوحدنا... كيم أترجاك يا ولدي أن تذهب بأسرع وقت مُمكن... ليس لديك مُستقبل هُنا ستبقىٰ تتألم وتتعذب يومًا بعد الآخر وتموت من القهر والأسىٰ!

أدار ظهره لها ومسح جبينه وطقطق أصابعه وقضم شفتيه بشدة حتىٰ سال منها الدماء. وبدأ يُفكر في كلامها الذي أصاب شرايين قلبه وغرز سهامه بها كصياد أطلق سهمه علىٰ قلب فريسته. كان يعلم بأنها مُحقة وكلامها صائب للغاية، لكن حبه لها وتمسكه بوجودها كان يمنعه من الرحيل وتركها وحيدة. كان وضعه أشبه بسفينة تغرق في البحر ولا يوجد سوىٰ طوق نجاة واحد فقط لا غير، فتضطر أن تنجو بنفسك وتترك من تُحب يغرق في دوامات الماء بناءً علىٰ رغبته. نظر إلىٰ والدته وقال:

- وأنتِ! ما هو مصيركِ؟ كيف يطاوعني قلبي أن أتركك لوحدكِ هنا فريسة للضباع الغادرة؟ كيف ستعيشين بقية حياتكِ؟ ألن تشتاقي لي؟

أخذت نفساً عميقاً وقالت بشجن:

- كيم! أنا راحلة إلىٰ مكانٍ آخر!

رفع حاجبيه وقال بصوتٍ حزين:

- هذا رائع وكيف سنلتقي إذاً في مكانك الجديد؟

ربتت علىٰ كتفهِ وقالت بتشاؤم:

- أنا راحلة عن هذه الحياة... سأذهب لأجتمع بنصفي الثاني الذي ذهب في لمحة عين مني!

اتسعت عيناه من الدهشة وقال:

- أمي! ما هذا الكلام الذي تقولينه! هل أنت تهذين؟

أطرقت رأسها بالنفي وقالت:

- لا يا ولدي هذه هي الحقيقة... لقد نال المرض مني وأوهن جسدي وتركني تائهة في دهاليز اليأس... هل تظُن بأني قادرة علىٰ أن أكمل طريقي لوحدي بعد أن فقدت سندي في الحياة... أنا أشتاق لوالدك كثيراً ولا يوجد شيء بسيط يُلهيني عن تذكره وتخيل صورته وسماع همسات صوته الحنينة في إذني... منذ رحيله وأنا ضائعة وسأضحي بنفسي في سبيل أن تعيش بقية حياتك براحة... أحيانـًا تكون مُضطراً أن تتنازل عن موقعك لكي يملأه غيرك... إذا أردتني أن أكون سعيدة فأرحل من هُنا ولا تُفكر حتىٰ في وجودي اعتبرني إنسانة ميتة من هذه اللحظة.

نهضت من مكانها واقتربت منه ووضعت أناملها علىٰ وجناتهِ تتأمل ملمسها الناعم وتنظر في عينيهِ الحزينتين وفي قلبهِ المليء بالتعب والهم والحُزُن. قبلته من جبينهِ وعانقته بحرقة وبكت بشدة وقالت: " الوداع يا أملي في الحياة".

****

الفصل الخامس

استيقظ كيم من نومهِ مُثقل بالهم ومُجهداً من الإعياء والتعب والوهن الذي أصاب جسده كشخص سار لمسافات بعيدة ولم يعُد جسده قادرا علىٰ التحمل أكثر. كانت عيناه حمراوان وناعستان ويخرج منهما لهيب الغضب والألم. بقي في فراشهِ واضعًا وسادتهِ علىٰ رأسه مُحاولاً العودة للنوم، لكن شيئًا ما كان يمنعه من ذلك. قاوم هذا الشعور المزعج بروح بائسة وفاقدة لأي بصيص أمل في الحياة.

وفي نهاية المطاف استسلم ونهض من فراشهِ. توجه إلىٰ الحمام ونظر إلىٰ وجهه المُصفر في المرآة وبدأ يفرك عينيه الناعستين ويُغمضهما ويفتحهما بقوة ويتأمل السواد الذي أثقل جفنيه. فتح راحة يديه وجمع الماء فيهما ورشهما علىٰ وجهه الكئيب لعله يستفيق من نعاسه.

نزل إلىٰ المطبخ وشرب قدحًا من الماء ليروي ظمأه بعد ليلة حافلة بالتعب والأفكار السلبية. وضع أبريق الشاي علىٰ النار وجلس علىٰ الكرسي واضعًا راحة يدهِ علىٰ خده الأيسر مُغمضًا عينيه مُحاولاً أخذ قسط قليل من النوم.

أثناء غفوته شاهد والده في المنام ماسكًا يد والدته ويسيرا في شارع متلألأ الأضواء ومُزين بأكاليل الورود وأنغام الموسيقىٰ الهادئة. كان الطقس غائمًا قليلاً يتخلله بعض نسمات الهواء الباردة التي تُريح النفس وتُطيب الخاطر وتُنشي الروح. كانا يبدوان في غاية الرومانسية والانسجام والتناغم فيما بينهما كعرسان جديدان مُقبلان علىٰ حياة زوجية جديدة.

كان كيم يمشي في نفس الشارع لكن علىٰ الجانب الآخر. شاهد والداه يسيران بالقرب منه فدلف باتجاههما ونظر لهما نظرة تعجُب واتسعت مقلة عينه ورفع حاجبيه وبدت علامات الاستغراب واضحة علىٰ وجههِ وقضم شفتيه وأخذ ينظُر ويتلفت يميناً وشمالاً كشخص ضائع في منتصف الطريق باحثاً عن أحد ليرشده إلىٰ الطريق الصحيح.

حاول أن يتكلم لكن الاستغراب مُسيطر عليه وكلما حاول أن ينبس ببنت شفة كان لسانه ينعقد ويعود أدراجه. لم يستسلم وبقي يحاول مراراً وتكراراً، وفي نهاية المطاف تغلب علىٰ استغرابه ووضع يده علىٰ كتفِ والدهِ قائلاً: أبي! ما الذي جمعك مع والدتي؟ ألم تُفارق الحياة وتتركنا لوحدنا ضائعين كنور شمعة وسط نور الشمس! كيف اجتمعت مع والدتي كروح كانت تبحث عن نصفها المفقود!

ارتسمت بسمة خفيفة مصحوبة بالحُزن علىٰ وجه والدهِ وطأطأ رأسه وهم قائلاً: لا تحزن مما سأقوله لك يا ولدي... لقد أتيت اليوم صباحاً إلىٰ المنزل ووجدت والدتك مُتعبة وتُعاني من المرض الذي أعيا جسدها وأوهن قواها وتركها كغزالة ضعيفة وتائهة وسط قطيع من الأسود الجائعة والمتعطشة لافتراس ضحيتها.

اقتربت منها وجلست بجانبها ووضعت يدي علىٰ جبينها. كانت حرارة جسدها مرتفعة جداً كنيران مُشتعلة في جسدها الهزيل. قبلتها من جبينها وتلمست وجنتيها براحة يدي. أفاقت من غيبوبتها وأمسكت راحة يدي بقوة ووضعتها علىٰ صدرها وقالت لي: اشتقت

إليك يا قطعة فارقت روحي في ليلٍ مُظلم... حالي دونك كحال القمر عندما يفقد نصفه الثاني... متىٰ ولماذا أتيت؟ هل تفتقدني أم نسيتني بهذه السهولة؟

ابتسمت في وجهها وقبلت يدها وتنهدت وقلت: اشتقت إليك وعلمت بأنكِ مريضة وتودين الرحيل للتخلص من المأساة التي تعيشينها. هزت رأسها وابتسمت قائلةً: نعم! أريد أن أذهب معك لا أود البقاء... كلما طال بقائي زادت مأساتي ومتاعبي... أصبح شُغلي الشاغل هو التخلص من الواقع المرير الذي أعيشه ومن الكوابيس وفرط التفكير الذي أصابني بعد رحيلك... أنا أموت في اليوم ألف مرة وفي كل مرة أقول لقد حانت اللحظة المناسبة... لكني أستيقظ قائلةً متىٰ أتخلص من كل هذا؟ متىٰ تأتي اللحظة التي لن أستيقظ بعدها لأن روحي ستُفارق جسدي وستلتقي بمن تركها هائمة وضائعة في دهاليز الحياة؟

وضعت أصبعي علىٰ فمها مُشيراً لها بالسكوت والإنصات لما سأقوله لها. صمتت وهي تنظُر لي بعينين حزينتين مُنتظرةً ما سأقوله كمُتهم مُنتظر صدور الحكم عليه من القاضي. سكت لبرهة وتنهدت وقلت لها: لا تظُني بأني سأتركك وحيدة في هذه الحياة القاسية التي لن تعيشي فيها طويلاً... أنتِ تعيشين في قلبي وذكراكِ لا تُفارق مُخيلتي... كنت أزوركِ كُل يوم لكنكِ لا تستطيعين رؤيتي... وحين رأيتكِ مريضة للغاية أتيت لأخذكِ معي وأنهي مأساتكِ... فَرِحت

كثيراً عندما سَمِعت ما قُلته وقالت: حسنـًا! لنذهب بأسرع ما يُمكن... أمسكت يدها ونهضنا من السرير وحملتها بيدي وحلقنا إلىٰ عنان السماء في رحلة مليئة بالشوق والفرح لنجتمع مع بعض مُجدداً!

****

استفاق كيم من غيبوبتهِ مُحاولاً فهِم ما رآه في هذا الحلم القصير. كان يبحث عن تفسير منطقي أو إجابة صغيرة تُمكنه من فهم كلام والدهِ. سمِع صوت إبريق الشاي يغلي فذهب وصب قدحـًا وعاد وجلس علىٰ كرسيه مُرتشفـًا للشاي وباحثـًا عن إجابات لحلمهِ الغريب.

بعد أن ارتشف ما يقارب نصف القدح تذكر آخر جملة قالتها له والدته مساء الأمس عندما كانا في الحمام "الوداع يا أملي في الحياة". سقط قدح الشاي من يدهِ وضرب جبينه بقوة وبدأت يداه ترتجفان وهز رأسه وقال بصوتٍ مُنتحب: مُستحيل! مُستحيل! لا هذا لن يحدُث إطلاقـًا!

نهض من الكرسي وركض مُسرعـًا إلىٰ غُرفة والدتهِ كغزالٍ هارب من قطيعٍ من الأسود التي تُلاحقه. دخل إلىٰ الغرفة كالمجنون ووجد والدته مُستلقية علىٰ فراشها ولا تتنفس وجسدها بارد جداً. جلس بجانبها مُحركـًا يديها ومُطبطبـًا علىٰ خدها قائلاً: أمي! أمي! أفيقي أرجوكِ! أمي لا تفعليها! أترجاكِ أن لا تفعليها! لا تتركيني وحدي ضائعـًا من جديد!

صرخ بصوتٍ مُدوي نابع من أعماق قلبه كبُركان مُنفجر قائلاً: أمي! أمي! ودفن وجهه بين يديهِ وبدأ يبكي بحرقة وألم. وضع رأسه علىٰ صدر والدته ماسكـًا براحة يدها ويُقبلها والغصة تحرق قلبه المُعتصر حسرةً وألمـًا.

****

مر أسبوع علىٰ وفاة والدة كيم والأجواء في المنزل كئيبة ومُظلمة كغمامة سوداء تُحاوط كل مكان. كان كيم يجلس في غرفة والدتهِ التي لن يُفارقها منذ وفاتها مُحتضنـًا صورتها بين يديه. كان جسده نحيلاً وهزيلاً للغاية كميت هارب من القبر ووجهه ضعيفـًا ومُتعبـًا ومُثقلاً بالحُزُن والتعب كوردة فقدت أوراقها وقُطِع الماء عنها. لم يأكل أو يشرب شيء منذ ذلك اليوم.

كان يُدخن السجائر بشراهة كظمآن وجد بركة ماء بعد بحثٍ طويل. أصبحت السيجارة هي صديقه الوحيد الذي لا يفارقه كظله أينما يذهب. لم يستطع النوم إلا الشيء القليل وكلما خلد إلىٰ النوم تذكرها ورآها في منامهِ فينهض ويحتضن صورتها ويبكي وينتحب مُجدداً.

كان يشعُر بأنه ضائع ولا يوجد من يُرشده إلىٰ الطريق الصحيح كحبة ثلج سقطت في مُنتصف البحر فذابت ولم يبقىٰ لها أي أثر. مؤلمة اللحظات التي تفقد فيها من كان يسندك ويخصص جل وقته للإصغاء إليك وإعطائك النصائح التي تجعلك تسير مُستقيمـًا علىٰ الطريق الصحيح.

أخذ قسطاً من النوم وشاهد والدته في المنام. كانت كالملاك وجهها ناصع البياض وترتدي رداءً أبيض اللون والابتسامة تعتلي وجهها. اقترب منها ووضع أنامله علىٰ وجهها مُحاولاً لمسه. أحس بأنها عبارة عن نور مُشع يقف أمامه، لا يشعر بأنها إنسان من لحم وعظم ودماء. ظل مُندهشاً من منظرها الجميل الذي يبعث الراحة في النفس لا سيما الابتسامة الساحرة التي ترتسم علىٰ وجهها وتزيده بريقاً وجمالاً.

وضعت يدها علىٰ وجههِ ومسدت شعره بأناملها الدافئة وقالت له: كيم عزيزي! أنا أعلم بأنك حزين ومُتألم لفراقي وتشعُر بالضياع، أنت بحاجة إلىٰ من يُرشدك ويُعيدك للطريق الصحيح مُجدداً.

نزلت دمعته وقضم شفتيه وأغمض عينيه مُحاولاً تجنب الألم الذي يعتصر قلبه، لكن محاولاته باءت بالفشل، تستطيع أن تكذب في كُل شيء إلا علىٰ والدتك فبحركة صغيرة تستطيع أن تكتشف شعورك الحقيقي.

عانقته وقبلت وجنة خده الأيمن وابتسمت في وجههِ وقالت له بصوتٍ حنين مليء بالدفء والحنان: حبيبي كيم! لا جدوىٰ مما تفعله في نفسك... هذه هي سُنة الحياة، يرحل أناس ويأتي أناس أخرون... ما تفعله في نفسك لا فائدة منه سوىٰ أذية نفسك لا غير... انظر إلىٰ وجهك في المرآة؛ هل هذا كيم الذي أعرفه! لماذا تبدوا شاحباً مُقفراً كوردة قُطع عنها الماء وفقدت أوراقها... كماسة غاصت في عُمق البحر وفقدت بريقها... عندما أراك في هذه الحالة يعتصرُ قلبي ألماً

عليك ويحزن وجهي وتُفارقني الابتسامة وأبقىٰ أفكر فيك وينشغل بالي عليك...هل تريدني أن أكون بهذه الحالة أم سعيدة والابتسامة تعتلي وجهي!

نظر كيم في عينيها وطأطأ رأسه والدموع تُذرف من عينيه بحرقة والغصة تعتلي قلبه وقال: أنا لا يُمكن أن أعيش من بعدكِ... لقد فقدتُ البوصلة التي كانت تُرشدني للاتجاهات الصحيحة... كيف لعقلي أن يتحمل فراقكِ بعد فراق والدي... ضربتين علىٰ الرأس في آن واحد مؤلمة... عندما تضربك الحياة ضربة مؤلمة للمرةً الأولىٰ تسقط علىٰ الأرض وتبقىٰ طريح الفراش ولا يسعك النهوض من واقعك المرير... وتبقىٰ تُفكر في استعادة قوتك وتُلملم شتات نفسك بعد الضربة التي تلقيتها... وسرعان ما تنهض وتُداوي جراحك وتستعيد قواك وتعود الحياة وتبتسم لك من جديد وتشعر بأن الأمور ستجري علىٰ ما يُرام وتمكنت من التغلب علىٰ المصاعب وبدأت عافيتك تعود تدريجياً... تعود الحياة وتضربك ضربة جديدة تقصم ظهرك وتُشتتك من جديد وتضحىٰ جالساً وحيداً كالطير الذي أضاع سربه وبقي تائهاً في السماء لا يستطيع العودة إلىٰ سربهِ ولا المُضي في طريقهِ الجديد... مؤلمة هذه اللحظات التي تكتشف فيها بأن الحياة عبارة عن اختبار لا يُمكن النجاح فيه... وإن قوتك وصمودك لم يكونا إلا خُدعة يصورها لك عقلك لتمضي بقية حياتك تتلقىٰ الصفعات والضربات من كل مكان... لن تستطيع النهوض من مكانك مرةً أخرىٰ وبمجرد أن تُصدق نفسك بأنك قوي وقادر علىٰ الصمود

وستنهض وتُلملم شتات نفسك وتمضي في طريقك... تضربك الحياة مرةً أخرىٰ ضربة أقوىٰ من السابق... لا تظُن بأنك ستنجح ستبقىٰ تتلقىٰ الضربات وستنهض وتنجح وتسقط مرةً أخرىٰ... ويمضي العمر بهذه الطريقة تسقط وتنهض وتسقط وتنهض لغاية موتك!

مسدت وجهه بأنامل أصابعها وقبلت جبينه وقالت له: كيم! سقطت بعد وفاة والدك لكنك نهضت وعملت وبدأت تستعيد عافيتك... لكن بعد وفاتي سقطت من جديد وتألمت... هل يجب أن تبقىٰ بهذه الحالة أم تنهض وتستعيد نفسك وقوتك من جديد... مضىٰ وقتٌ طويل علىٰ جلوسك في البيت ولم يبقىٰ لديك رغيف خبز لتُطعم نفسك ولا قدح ماء لتروي ظمأك... هل يجب أن تبقىٰ هكذا؟ انظر لنفسك؛ تألمت وعانيت وصرخت وبكيت وتحطمت... هل سمع نداءك أحد؟ هل وقف بجانبك أحد؟ هل سأل أحدٌ عنك؟ هل تعاطف أحدٌ معك؟ جميع الإجابات لا... أنت فقط من يستطيع أن يُعيد قوته وعافيته وليس الآخرين... قدرك أن تكون وحيداً... لا تتصور بأن في اللحظة التي ستسقط فيها سيكون الناس معك... ستنصدم وتكتشف بأنك وحيد تائه في غابة كثيفة... الناس جميعـاً مُنشغلين في تسير عجلة حياتهم اليومية باحثين عن قوت العيش... وفي حال فرغوا قليلاً سيتصل أحدهم ليسأل عنك... سيسأل عنك ليتجسس أخبارك وليس ليُساعدك ويهتم لأمرك... أنت الوحيد القادر علىٰ مُساعدة نفسك... انهض ولا تدع الحُزُن والكسل ينال منك... أنت قويـاً بذاتك وبطموحاتك وبثقتك بنفسك... أريدك أن تكون قويـاً صامداً في وجه

العواصف كجذع نخلة مُنغرس في جوفِ الأرض ولا يُمكن لأعتىٰ أنواع الرياح أن تقتلعه... ستقتلع أوراقك وبعض ثمارك لكنها لن تستطيع اقتلاع جذورك الراسخة في الأرض... انتهىٰ وقت النوم والهموم وحان وقت العمل والكد من جديد!

****

نهض كيم من نومهِ مفزوعًا كالمصفوع علىٰ وجههِ. تنهد ونظر يمينًا وشمالاً وتذكر كلام والدتهِ في المنام. عاد واستلقىٰ مُجدداً، لكن صوتًا غريبًا كان يهمس في إذنه قائلاً:

«كيم... انهض... كفاك تكاسُلا»

نهض من كسله كالأسد ونفض جسدهِ من الكسل كالطائر الذي ينفض ريشه من الماء. ذهب إلىٰ الحمام ونظر إلىٰ وجهه في المرآة واتسعت عيناه من الصدمة حين رأىٰ التعب والإجهاد الذي أصاب وجهه وحوله من أرض مخضرة إلىٰ أرض مُقفرة. تساءل في نفسه قائلاً: هل هذا هو وجهك الحقيقي يا كيم أم أنك تتخيل ذلك؟ جر أسفل عينيه وأغمض عينيه وفتحها بقوة وأكتشف بأن وجهه تحول من كائن ملائكي نقي ومُبتسم إلىٰ كائن شيطاني مسود الوجه ولا يوجد أي نور في وجههِ.

حلق ذقنه وأخذ حمامًا ساخنًا نافضًا الحُزُن عن جسدهِ النحيل. نزل إلىٰ المطبخ ونظفه من الفوضىٰ التي خلفها. فتح الثلاجة فلم يجد سوىٰ رغيف خبزٍ صغير تناوله مع قدح من الشاي. دلف إلىٰ غرفة

والدتهِ وفتح الخزانة فلم يجد سوىٰ القليل من المال الذي لن يكفيه لأكثر من أسبوع واحد. فكر في خجالة نفسه عما سيفعله وعن أحلامهِ وطموحاتهِ التي انهارت أمام عينيه ولم يعُد قادراً علىٰ الإمساك بدفة القيادة من مُجدداً.

خطر علىٰ باله هوانغ؛ ذلك الشاب الكوري الجنوبي الذي التقاه في إحدىٰ المرات ليساعده في الهرب إلىٰ كوريا الجنوبية. أخرج هاتفه من جيبه واتصل عليه. رن هاتف آن وتفاجأ عندما رأىٰ كيم هو المتصل وقال في خجالة نفسه: ما الذي ذكره بي بعد كل هذا الوقت! فتح الخط وأجاب قائلاً: مرحبًا يا كيم! كيف حالك؟

أجابه كيم بصوتٍ باهت غير مُبالي للحياة: لستُ علىٰ أفضل حال... لقد توفي والدي وتلته والدتي وأمر بظروف سيئة للغاية... هل يُمكننا أن نلتقي اليوم في حال لم تكُن مشغولاً؟

تفاجئ آن من الخبر الذي نزل علىٰ رأسهِ كالصاعقة وتمتم قائلاً: أعتذر عن سماع هذا الخبر الحزين تعازي الحارة لك... اشتقت للحديث معك نستطيع أن نلتقي في الساعة السابعة مساءً ونتحدث عن كل شيء... أين نلتقي؟

أجابه كيم: في مقهىٰ النجمة القريب من الجامعة... أراك هُناك... إلىٰ اللقاء!

****

ذهب كيم إلىٰ المقهىٰ وجلس مُنتظراً هوانغ ليُخبره عن قرارهِ بالهروب إلىٰ كوريا الجنوبية بعد الظُلم الذي تعرض له هُنا. وصل اَن في الموعد المُحدد وتفاجئ عندما رأىٰ كيم بهذه الحالة المُزرية كشمعة أنطفئ نورها ولم تعُد تضيء كالسابق. عانقه وتألم لوضعه وسمع قصته بالكامل ووافق علىٰ الهروب معه.

كانت خطتهما هي الاقتراب من خط الموت، وأن يجري اَن أولاً ويرمي قنبلة مولوتوف علىٰ أحد أبراج المراقبة، وبعد أن ينشغل الحراس معه يركض كيم باتجاهه. وافق كيم علىٰ خطتهِ لكون اَن نجح باستخدام هذه الطريقة وهرب إلىٰ كوريا الشمالية. كان الوقت المقرر لتنفيذ خطتهم بعد أسبوع من لقائهما. كان كيم يعد اللحظات والثواني ويتخيل ويتأمل المستقبل المُبهر الذي سيكون بانتظاره وكيف سيكون شعوره بعد أن يجتاز خط الموت ويكون أول كوري شمالي ينجح بالهرب؟ وكيف سيكون مثالاً يُحتذىٰ به وأملاً للشباب التي تعرض للظلم ويرغبون في الهروب كما هرب هو من قبل.

****

مضىٰ أسبوع علىٰ لقائهما وحانت اللحظة الحاسمة التي سيهربان فيها. استأجرا سيارة تقلهم بالقرب من الخط ودخلا في الغابة يراقبان الوضع. كانت الأمور هادئة وتسير علىٰ ما يرام، لكنهما لا يعلمان بأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة. لم يكُن يخطُر علىٰ بال القوات الكورية الشمالية بأن يقوم أحد الأشخاص بالهرب من بلده عابراً خط الموت

بنجاح. حاول أشخاص قليلين القيام بهذه المغامرة من قبل، لكن محاولاتهم باءت بالفشل وقُتِلوا قبل أن يعبروا الخط، لا سيما إن القوات الكورية الشمالية تبسط سيطرتها علىٰ المكان بكل دقة وحذر وتضرب بيدٍ من حديد كل من يحاول أو يتجرأ علىٰ القيام بذلك.

كان هذا الأمر يؤرق كيم ويشغل باله ويراوده في أحلامه ويلاحقه كظله أينما ذهب حتىٰ في اللحظة التي وصل فيها إلىٰ الغابة وبدأ يُراقب الخط، ولا تفصل بينه وبين الحدود الكورية الجنوبية سوىٰ أمتار قليلة فما لا يرتاح له قلبك لا ترتاح له نفسك، لكن لابُد أن يجازف فالخوف والجُبُن لا يُمكنك من تسلق الجبال. تنهد ونظر في عيني اَن الواثق من نجاح خطته المُحكمة والمُعدة مسبقـًا.

جرىٰ اَن باتجاه أحد الأبراج ورمىٰ قنبلة المولوتوف عليه وأشعل النيران فيه، فانشغلت القوات الكورية الشمالية بالرمي باتجاهه ونجح في الاقتراب من الخط. شعر كيم بسعادة عارمة وأن خطتهما نجحت وسيلوذ بالفرار من السجن الكبير الذي يعيش فيه. تحرك من مكانه والسعادة تغمُر قلبه والابتسامة تعتلي وجهه الذي عاد إليه بريقه. لكن رصاصة زرفت رأس اَن وأردته قتيلاً قبل أن يعبُر الخط.

صُدِم كيم من هول المنظر الذي رآه، اتسعت عيناه من الصدمة وجلس علىٰ الأرض واضعـًا يده علىٰ رأسه فاتحـًا فاهُ وحاجباه مرفوعان ومقلتا عينيه تتحركان كقطار سريع يمينـًا وشمالاً، انهارت قواه وخارت عزيمته. رأىٰ شريط أحلامه يتحطم أمامه كسفينة ابتلعتها

موجة عاتية وحطمت شراعها وأغرقت رُبانها. مؤلمة هذه اللحظات التي تظُن فيها بأن أحلامك على وشك التحقق وستخرج من النفق المُظلم المحبوس فيه، لكن بغمضة عين تضرب أحلامك وطموحاتك صاعقة فتُدمرها وتشتتها إلى قطع صغيرة ومتفرقة يصعب جمعها من جديد.

****

عاد كيم إلى المنزل مُحطماً كغصن شجرة ضربتها رياح قوية ومُنكسراً كقدح ماء سقط على الأرض وتفرقت شظاياه ومُشتتاً كالمضروب بصخرة على رأسه وفقد التركيز ولم يعُد قادراً على تحمُل المزيد من الصدمات.

دلف إلى غرفتهِ ورمى جميع الأغراض على الأرض وتوجه إلى المرآة وبدأ يضرب المرآة بقبضة يده بكُل ما أوتي من قوة وبطش. كان يضربها ويتخيلها بأنها عدوه الذي أفشل خطته ووقع بين يديه وبدأ يبطش فيه أخذاً بثأره منه. صرخ بأعلى صوته حتى كادت حباله الصوتية قريبة من الانقطاع وتألم قلبه وأحس بأن نياط قلبه بدأ يتمزق. كانت قبضة يده تنزف دماً غزيراً بعد ضربه للمرآة.

جلس على الأرض دافناً وجهه بين راحة يديه ويبكي وينتحب ويندُب حظه العاثر وكيف تحطمت أحلامه أمامه وكيف عاد إلى السجن بنفسهِ مرةً أخرى. ذهب إلى السرير مُحاولاً النوم ووضع الوسادة على رأسهِ.

شـاهد والدتـه في المنـام مـرةً أخـرىٰ. كانـت كعادتهـا عنـدما يراهـا كـالملاك الأبـيض. وقفـت أمامـه وكـان وجههـا بشوشـاً ومُبتسـماً وصـفقت لـه وطبطبـت علـىٰ كتفـهِ قائلـةً: أحسـنت يـا كـيم! هـذا مـا كنـت أنتظـره... أنـت الآن شُـجاع كالفرسـان وتسـتطيع أن تخطـي خطـوات جريئـة... صـحيح إنـك فشـلت اليـوم لكـن يكفيـك شـرف المحاولـة... لا تمـل وحـاول مُجـدداً سـتنجح في المـرة المقبلـة... مقتـل اَن علـىٰ الخـط لا يعنـي بـأن تتخلـىٰ عـن حلمـك في الهـروب... إن أردت النجـاح فعليـك المجازفـة والمخـاطرة أحيانـاً وأن تكـون واثقـاً بـأن خطتـك سـتنجح... مـا تزرعـه في عقلـك ومـا تتخيلـه حتمـاً سـينجح يومـاً مـا... لا أريـدك أن تمـل وتتخلـىٰ عـن مسـتقبلك وطموحـك بسـهولة كطفـل مـل مـن لعبتـه فرماها.

هـز كـيم رأسـه مُبتسـماً ابتسـامة مُعـبرة عـن اسـتهزاءه بكـلام والدتـه البعيـد كُـل البُعـد عـن الواقـع وعـن المأسـاة التـي شـاهدها بـأم عينيـه وقـال: حـاول مـرةً أخـرىٰ وكلمـا فشـلت حـاول مُجـدداً! أمـي هـذه ليسـت لعبـة كـرة قـدم أو شـطرنج... هـذه حيـاة ومصـيرها أمـا النجـاح أو الفشـل... هـذا الخـط لا يُعطيـك خيـارات مُتعـددة أمـا تـنجح في الهـروب منـه أو المـوت فيـه... لا يوجـد أمـل للمحاولـة عـدة مـرات... هـذا الخـط لا يُمثـل المـوت فقـط، بـل الأتعـس مـن ذلـك... إنـه يُمثـل نهايـة الطمـوح والأحـلام والمسـتقبل الزاهـر والواعـد الـذي ترسـمه في مخيلتـك... أنـا مُحطـم ومُنكسـر

ومخذول كطفل أضاع والدته في السوق تخيلي بأنه لا يوجد أي شخص نجح في عبور هذا الخط في السابق فمن أنا لكي أنجح في اجتيازه... رأيت اليوم كيف قُتِل اَن بعد أن أقترب من الوصول إلىٰ الحدود الكورية الجنوبية وكيف تناثرت دماءه علىٰ الخط مُعلنةً انتصاره علىٰ كُل من يتجرأ الهروب منه أو حتىٰ التفكير في اجتيازه... تخيلي لو كنتُ وحيداً اليوم ما الذي كان سيحصل لي... لكنتُ قتيلاً ودمائي متناثرة علىٰ الخط كخروف ذُبِح من عُنقهِ وسالت دماؤه علىٰ الأرض!

طبطت علىٰ كتفهِ ووضعت جبينها علىٰ جبينه وقالت له والدموع تنهمر من عينيها: كيم لا تيأس من المحاولة الأولىٰ... كن قوياً وحاول أن تضع خطة جديدة تضمن نجاحها فلعلك تكون أول شخص ينجح في العبور من هذا الخط وكيف ستكون أسطورة يتحدث عنها الناس في مجالسهم؟ وكيف ستكون أملاً للشباب الواعدين الذين تعرضوا للظلم ويتمنوا الخلاص من هذا البلد... دع ما حصل اليوم يكون عبرةً أو درساً ليُعيدك إلىٰ الطريق الصحيح ويدعك تستخدم عقلك البارع وخُططك الذكية التي ستُمكنك حتماً من الهروب يوماً ما... كل ما عليك الآن أن تكون هادئاً ومُتزناً وليس ضائعاً ومُشتتاً وفاقداً لأي بصيص أمل حتىٰ لو كان صغيراً... فالشخص المتفائل يرىٰ النور من فتحة صغيرة في النفق... أجلس مع نفسك وراجع ذاتك وتذكر أحلامك

وطموحاتـك كأنهـا شـريط سـينمائي يمُـر أمـام عينيـك وتسـعىٰ لتحقيقـه... لا تكُـن هشـًا لينـًا سـهل الكسـر والانقيـاد والضـياع... يكفيـك شـرف المحاولـة فـإن لـم تُجـرب المُمكـن لـن تسـتطيع أن تُجـرب المُسـتحيل... مهمـا بلغـت صـعوبة اجتيـاز هـذا الخـط لابُد أن تكون هُنالك طريقة للهروب منه والنجاة بحياتك.

الفصل السادس

مرت عدة أشهر وقرر كيم الهرب مُجدداً إلىٰ كوريا الجنوبية. وصل إلىٰ الخط ورمىٰ نفسه كحارس كرة قدم يرتمي ليصد الكُرة. دخل إلىٰ الجانب الكوري الجنوبي الذي بدأ يصرخ قائلاً: يُمنع رمي النار علىٰ هذا المواطن بعد أن أصبح داخل بلدنا! أحس كيم بفرحة عارمة وجلس علىٰ ركبتيه واضعاً يده علىٰ وجنتيه وأصبح وجهه أحمر اللون وتنفس بقوة ولم يُصدق ما حصل. لم يُدرك بأنه أصبح خارج بلدهِ المليء بالظلم. لم يستطع أن يستوعب بأنه الآن أول شخص ينجح بالهروب من السجن الكبير والدخول إلىٰ عالم الحرية والمساواة وسيحظىٰ بحياة كريمة وسعيدة وسيُحقق طموحهِ. استلقىٰ بظهرهِ علىٰ الأرض وأخذ نفساً عميقاً ودموع الفرح تنهمر من عينيهِ وهو يرىٰ الجنود الكوريين الشماليين كيف يرمقونه بنظراتهم التي تقدحُ شراً وغضباً وليس باستطاعتهم عمل أي شيء له.

****

(فلاش باك)

بدأ كيم يعمل في ورشة خياطة وأصبح خياطاً ماهراً وبدأت حياته وأموره المالية تتحسن إلىٰ الأفضل. لكن ما يدور في بالك وتُخطط له في الماضي يبقىٰ راسخاً ومطبوعاً في ذهنك كجذع شجرة مُنغرس في الأرض.

في أحد الأيام جاء أحد الجنود الكوريين وأعطىٰ كيم بدلته العسكرية لكي يخيط الشق الموجود فيها. أخذ كيم البدلة ورمقه بنظرات

استغراب وابتسم ابتسامة صفراء تنُم عن مكر وخديعة ودهاء. لاحظ كيم بأن بنية الجندي نفس بنيته ويرتديان نفس القياس في الملابس.

خطرت علىٰ بال كيم فكرة أخذ البدلة وارتدائها عند الاقتراب من خط الموت وبهذه الحالة سينجح بالهرب بسهولة. قال في خجالة نفسهِ: نعم! نعم! هذه أفضل فُرصة... لقد أتت الفريسة بين يديك ويجب أن تستغلها فهذه الفرصة لا تُعوض. طلب من الجندي أن يأتي في صباح اليوم التالي ليستلم البدلة لأنه مُنهمك في العمل وغير قادر علىٰ إصلاحها الأن. هز الجندي رأسه مُعلناً موافقته علىٰ هذا الاقتراح.

****

أصلح كيم البدلة وعاد إلىٰ المنزل مُبقياً البدلة في الورشة لأنه لم يتمكن من أخذها معه إلىٰ المنزل ولكي يبعد الشكوك عنه. دخل إلىٰ المنزل ودلف إلىٰ غرفة والدتهِ وأمسك صورتها وبدأ يتحدث معها بصوتٍ فرح وهذه المرة الأولىٰ التي يبتسم فيها من أعماق قلبه بعد أن فارقت السعادة حياته منذ وفاة والديه. تلمس وجه أمه بأنامل أصابعه وبلع ريقه وتنهد وقال: أمي الحبيبة... لن أخيب أملك بي... أعلم بأنكِ لستِ سعيدة ولم تزوريني منذ مُدة طويلة... أعلم بأن أملكِ بي قد خاب وباءت محاولاتكِ بإرضائي بالفشل لأني كنتُ ولداً طائشاً وغير قادر علىٰ التفكير وتحطمت وتألمت بعد فشلي في الهروب من المحاولة الأولىٰ... لكن الحياة ابتسمت لي وأخيراً ومنحتني فرصة من ذهب لن تعوض بسهولة وسأغتنمها وألوذ بالفرار وأحقق حلمكِ

وهـدفكِ... أنـا قـوي الآن بمـا فيـه الكفايـة وقـادر علـىٰ مواجهـة الصعوبات وتـذليل العقبـات... أصبح تفكيـري إيجابيـا تجـاه الحيـاة وبدأت أنظر للنور من الفتحة الصغيرة الموجـودة في النفـق المظلـم... وأدركت مؤخراً بأن وجهة نظري تجاه الحياة كانـت خاطئـة... عنـدما تضـربك الحيـاة وتؤذيـك وتُسـقطك لا يجـب أن تبقـىٰ واقفـاً مكانـك مُنتظـراً أحـداً يُسـاعدك وينتشـلك مـن مأسـاتِك... الضـربة التـي لـن تُسقطك تقويك... هكذا أنا الآن بعد أن تلقيـت الكثير مـن الصـفعات أصبحت أقوىٰ وأقدر علىٰ مواجهتها وتوجيه الصفعات لهـا وإخبارهـا بأني قـادر علـىٰ الاستمرار في طريقـي ولـن أتخلـىٰ عـن أحلامـي مهمـا بلغت الصعوبات... عندما تُفكر بهذه الطريقة ستجدُ الحياة تبتسم لك وتمنحك الفرصة الذهبية... وكل ما عليك هو استغلال الفرصة وعدم تضيعها.

****

أخذ قسطـًا قليلاً من الراحة وغفت عينيـه لوهلـة، اسـتيقظ في منتصـف الليل ليذهب إلىٰ الورشـة ويأخـذ البدلـة ويتوجـه إلـىٰ الخـط ويجتـازه بكل سهولة. وصل إلىٰ الورشة وتلفت يمينـًا ويساراً خشـية رؤيتـه مـن أحـد واتهامـه بأنـه يسـرق الورشـة. كسـر البـاب كلـص يقـتحم مصـرفـًا ودلف إلىٰ الداخل وأخذ البدلة وتوجه بأقصىٰ سرعته إلـىٰ الخـط قبـل حلـول الساعة السابعة صباحـًا وهـو الموعـد الـذي تُفتح فيـه الورشـة. استأجر سيارة ونزل مسافة كيلومتر واحد قبل الخط ودخل في الغابة.

خلع ملابسه وارتدىٰ البدلة العسكرية وبدا كأنه جُندي في القوات الكورية الشمالية وليس باستطاعة أي أحد كشف أمره. مشىٰ بخطوات بطيئة وحذرة وتصرف وكأنه جُندي حقيقي. أصبح بينه وبين الخط ٢٠٠ متر فقط. لم تكن ٢٠٠ متر فقط بل كانت أمتار من الهم والتفكير والقلق والحد الفاصل بين حياة جديدة وتحقيق طموح وأهداف وأمال مبنية علىٰ ذلك أو الموت في هذا المكان وتلاشي الأحلام والطموحات.

مر بجانب برج المراقبة الذي أطلق النار علىٰ اَن وبدأ قلبه يخفق بسُرعة حتىٰ أحس بأنه سيخرج من مكانه وأصبح جسده حاراً كالبركان والعرق يتصبب من جبينهِ فهذا الأمر لا رجعة فيه. قضم أصابعه ومسح جبينه المُتعرق وأخذ نفساً عميقاً ووثق بنفسه وواصل السير.

لم يشُك أحدٌ في أمرهِ لأنه بدا كجُندي حقيقي وليس سارقاً للبدلة العسكرية ومُتخفياً بها. أصبح بينه وبين الخط ١٠٠ متر فقط. كانت عيناه ترتقب ما يحصل وأنفاسه تتصاعد أكثر وأكثر والقلق ينال منه حصة الأسد. تنهد وهدأ من روعهِ ونفس عن قلقهِ وواصل السير وبقيت مسافة ٥٠ متر فقط.

نظر إلىٰ الخلف وراقب الحركة التي تجري خلفه. بدأ الجنود في أبراج المراقبة يشكون في أمره لأنه أصبح قريباً جداً من الهرب. تنهد وحبس

أنفاسه وقال: الوداع أيها البلد المُظلم... دعني أخرج من الظلام إلىٰ النور.

بدأ الجنود يصرخون عليه ناصحيه بالابتعاد عن الخط وإلا سيرمون النار باتجاهه. لم يُعيرهم أي أنتباه وتظاهر بأنه جندي حقيقي. رفع يديه مُشيراً لهُم بالهدوء. أنزلوا السلاح وأغمض عينيه وأدار ظهره لهم وجرىٰ بكُل سُرعته وطاقته كغزال هارب من فهد يُلاحقه ويسعىٰ لاصطياده والظفر به.

لم يرىٰ أو يسمع أزيز الرصاص الذي كان يدخل بين قدميه وبجانب جسده. كان يُفكر فقط في اللحظات الجميلة التي سيعيشها بعد اجتياز الخط. تخيل بأن والدته تقف أمامه وهو كالطفل الذي بدأ يتعلم المشي لتوه وتقف والدته علىٰ مقربة منه ليأتي لها. أحس بأنه يجري في نفق مُظلم ومليء بالأفاعي، لكنه يرىٰ النور في نهاية النفق ويجري باتجاهه.

****

وصل الجنود الكوريين الجنوبيين بقربه ورحبوا به بينهم ومدوا له يدهم لينتشلوه من الأرض. نهض من مكانهِ كغريق يتشبث بقشة الأمل وأخرجته وأنقذته من الغرق. التفت إلىٰ الخلف وابتسم ابتسامة الانتصار علىٰ عدوه الشرير الذي يبتلع أي شخص يُحاول التجروء علىٰ الهروب من قبضتهِ.

دخل إلىٰ غرفة الضابط المسؤول ورحب به واصفًا إياه بالبطل المغوار الذي تحدىٰ الموت وكسر قيوده وحرر نفسه وتغلب عليه بكُل عزيمة وتفاني وشجاعة، سأله: ما هو شعورك وأنت خارج كوريا الشمالية الآن؟

نظر كيم في عينيه وابتسم في وجههِ قائلاً: الموت ليس موت الجسد فقط... بل موت الأحلام والآمال والطموحات والأهداف التي تراها تغرق أمامك ولا تستطيع إنقاذها وتراها تذهب أدراج الرياح وتقف عاجزاً عن الحاق بها واستعادتها... أنا اليوم أسعد شخص في العالم وفرحتي تُعانق عنان السماء... لقد نِلتُ حريتي وأصبحت أول شخص ينجح بالهرب من السجن... وسأكون مثالاً يُحتذىٰ به من الشباب البائس الذي يسعىٰ للتخلص من قيودهِ ونيل حريته... تخيل مدىٰ الضجة الإعلامية التي ستحصل في البلد بعد ما حصل... وأوجه كلمتي الأخيرة إلىٰ الناس:

«تفقدوا الأمل... ولتُكن نظرتكم إيجابية للحياة... ابتسموا لها تبتسم لكم وتُغنيكم... حتىٰ لو ضعتم في منتصف البحر؛ لا تفقدوا البوصلة التي تُرشدكم إلىٰ الطريق الصحيح»

«تمت»